الدراسات الإسلامية

المجلد السادس والخمسون (يوليو ٢٠٢١م - سبتمبر ٢٠٢١م / ذوالقعدة ١٤٤٢هـ - محرم ١٤٤٣هـ) العدد الثالث

مجمع البحوث الإسلامية
الجامعة الإسلامية العالمية - باكستان

الدراسات الإسلامية
العدد: ٣ المجلد ٥٦ ٢٠٢١م

AL-DIRĀSĀT AL-ISLĀMIYYAH

Volume: 56 July–September 2021 AD/Dhû 'l-Qa'dah 1442AH– Muḥarram 1443AH Issue: 3

Islamic Research Institute
International Islamic University, Islamabad

ISSN print: 0002-399X, Online ISSN: 2710-5334

الدراسات الإسلامية

محاور المجلة

القرآن الكريم : تاريخ التفسيروعلوم القرآن.

الحديث النبوي: تاريخ الحديث وعلوم الحديث.

الفقه وأصوله: تاريخ الفقه وأصول الفقه والأحكام الشرعية.

التاريخ الإسلامي: التاريخ، مصادر التاريخ، والمباحث الحديثة.

الثقافة الإسلامية: تاريخ الثقافة والحضارة وأسسها والتحديات الثقافية والحضارية المعاصرة.

الإسلام والغرب: التقاليد الفكرية والعلمية، والمقارنة الثقافية، والقضايا المعاصرة.

اللغة العربية والأدب العربي: اللغة العربية وآدابها وعلومها.

دراسة الأديان: تاريخ الأديان والمذاهب والحوار بين الأديان.

القضايا المعاصرة: القانون الدولي وحقوق الإنسان والمرأة، والتحديات الاقتصادية المعاصرة، والقضايا السياسية المعاصرة.

الدراسات الإسلامية

فصلية محكّمة

تبحث في الدين والثقافة والتاريخ والآداب

مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد - باكستان

(يوليو ٢٠٢١م – سبتمبر ٢٠٢١م / ذوالقعدة ١٤٤٢هـ – محرم ١٤٤٣هـ)

المجلد السادس والخمسون – العدد الثالث ٢٠٢١م

المجلد السادس والخمسون – العدد الثالث (يوليو ٢٠٢١م- سبتمبر ٢٠٢١م/ ذوالقعدة ١٤٤٢هـ-محرم ١٤٤٣هـ)

الدراسات الإسلامية

مجلة فصلية، معترف بها لدى (**HEC**) و ISSN print رقم: **0002-399X**

و ISSN Online رقم: **2710-5334** والمدرجة في **Ulrich's International Periodicals Directory** تحت عنوان: ٣٢٤٨٩

الآراء الواردة في البحوث لا تعبّر بالضرورة عن موقف المجلة أو المجمع

عنوان المراسلات والاشتراك السنوي: مدير (مطبوعات) مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، صندوق البريد: ١٠٣٥، إسلام آباد

iri.publication@iiu.edu.pk

الدراسات الإسلامية

(أسست عام ١٩٦٥م)

التعريف بالمجلّة:

مجلة الدراسات الإسلامية هي مجلة علمية محكّمة أسست عام ١٩٦٥م، وتنشر من قبل مجمع البحوث الإسلامية، وتصدر كل ثلاثة أشهر، وتعدّ من أهم المجلّات البحثية المعروفة في مجال العلوم الإسلامية واللغة العربية، ولذا تجد قرائها من جميع أنحاء العالم، ويتم استعراضها من قبل النظراء دوليا، وكثير من المساهمين فيها من العلماء المعروفين في مجالاتهم دوليا.

إن هذه المجلة تعنى بنشر بحوث مبتكرة، تناقش المسائل المتعلقة بجميع التخصصات من العلوم الاجتماعية والاقتصادية وخاصة بالعلوم الإسلامية مع تعدد مجالاتها وفروعها واللغة العربية وآدابها، كما ترغب هذه المجلة في عرض الأفكار الأصيلة حول القضايا المعاصرة وحلولها المستمدة من تعاليم الدين الحنيف والنظرية الإسلامية واستمرارية تجربتها التاريخية. وفي نفس الوقت تهتم المجلة بالبحوث التي تعنى بإحياء التراث الإسلامي التليد والتي بها يتعرف الخلف على أمجاد السلف وأعمالهم العلمية وإنجازاتهم الفكرية والحضارية.

تدعو المجلة السادة الأساتذة الباحثين في مجالات شتى من العلوم الإسلامية واللغة العربية أن يسهموا في هذه المجلة العربية التي تصدر من باكستان ببحوثهم وأفكارهم القيّمة. كما تدعو إدارة المجلة الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والشخصيات الراغبة إلى الاشتراك في هذه المجلة العلمية العربية التي تصدر من باكستان بانتظام منذ عام ١٩٦٥م.

تسجيل المجلة في الوكالات والهيئات العلمية:

الجدير بالذكر أن المجلة **"الدراسات الإسلامية"** معترف بها لدى أبرز جامعات العالم الإسلامي لترقية أعضاء هيئة التدريس: وهي معترف بها كواحدة من أبرز المجلات البحثية للعلوم الإسلامية واللغة العربية والتخصصات المرتبطة بها في ميادين العلم، هذه المجلة قد وضعت المعايير الأكاديمية الدولية منذ ستين سنة.

كانت المجلة معترف بها لدى هيئة الدراسات العليا (HEC) لباكستان بدرجة (X) عن طريق الإخطار رقم: R&D(RJS)/HEC/816 بالتاريخ: ٤ مايو ٢٠٢٠م، ولكن وفقا لسياسة هيئة الدراسات العليا الجديدة تعتبر المجلة بدرجة (Y) ويمكن التحقق من درحة المجلة في قائمة هيئة الدراسات العليا (HJRS) من خلال الرابط التالي:

https://hjrs.hec.gov.pk/index.php?r=site%2Fresult&id=912605#journal_result

علاوة على ذلك، إن مجلة الدراسات الإسلامية مسجلة (Indexed) لدى المؤسسات والهيئات والوكالات التالية:

١ - "المنهل" **(A UAE database)** وبوساطة "المنهل" تفهرس في **(EDS: EBSCO Discovery)** و **Summon (web discovery service)**

٢ - **Australian Islamic Library: www.australianislamiclibrary.org**

٣- **Islamic Research Index, AIOU**

٤ - **(Ulrich International Periodical Directory)** برقم: **ID: 32489**

٥ - **Crossref DOI – Prefix is 10.52.241**

٦- والمساعي مستمرة لفهرسة مجلة الدراسات الإسلامية في:

1- **Directory of Open Access Journal,**
2- **JSTOR, ALTA Religion Database and Theological Abstarcts, USA**
3- **Scopus and Web. Of Science**

قواعد النشر بالدراسات الإسلامية:

فقد وضعت هيئة التحرير المعايير التالية لنشر البحوث فيها، وهي كالآتي:

١ - تقديم خلاصة البحث باللغة الإنجليزية في حدود مائة وخمسين كلمة مع النص العربي للبحث.

٢- أن يتّسم البحث بالأصالة والإبداع من حيث عرض الأفكار والآراء أو من ناحية كشف النقاب عن حقائق جديدة غير منشورة أو غير معلومة من قبل، وأن لايكون البحث مستخرجا من كتاب مطبوع.

٣- أن يراعي الكتّاب قواعد البحث العلمي ومعاييره المعروفة.

٤- أن يلتزم تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مع بيان مصادر الأحاديث الأصلية ورواتها وجميع المعلومات اللازمة للإحالة من حيث الإشارة إلى مؤلف الكتاب ومحققه ودارالنشر وتاريخه والطبعة ورقم الجزء والصفحة.

٥- أن يرفق الكاتب مع النص لمحة من سيرته الذاتية (للمرة الأولى فقط) مع العنوان الدائم للمراسلة.

٦- تخضع البحوث المرسلة للتحكيم إلى لجنة مكونة على الأقل من اثنين من الأساتذة المتخصصين من داخل باكستان وخارجها في هذا المجال قبل الموافقة على نشرها، و من ثم ترفع إلى هيئة التحرير وهي التي تملك القرار الأخير بالموافقة على النشر أوالاعتذار عنه دون ذكر السبب.

٧- تحتفظ المجلة لنفسها حق التصرف في النص حذفا، أواختزالا أوإعادة صياغة بما يناسب أسلوبها في النشر.

٨- أن تكون المحتويات مشتملة على مادة علمية تراثية أو تحمل أفكاراً معاصرة ذات مضمون تحليلي نقدي مع توفيركافة المعلومات التوثيقية عن المراجع لجميع المعلومات والبيانات الواردة في البحث، (المؤلف، العنوان، مكان الطبع، وتاريخ الطبع، السلسلة، الصفحات، الخ) وإدراجها في الهامش تحت نص البحث في كل صفحة.

٩- ألا تكون البحوث قد نشرت من قبل، ولا أرسلت إلى مجلة أوهيئة أخرى لغرض النشر.

١٠- سوف يتم إبلاغ الباحث بتسلم بحث ثم يليه ـ بعد مدة مناسبةـ إشعاره بقبوله للنشر في حالة الموافقة عليه.

١١- لايجوز إعادة نشر أي مادة من مواد المجلة إلا بإذن كتابي من رئيس التحرير.

١٢- البحوث التي لم تقبل للنشر لا ترد إلى أصحابها ويكتفى بالإخبار عن ذلك.

١٣- ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه فقط ولايمثل رأي المجلة أو المجمع بالضرورةـ

١٤- لا تتجاوز عدد صفحات البحث خمسين صفحة ولا تقل عن عشرين صفحة، في كل صفحة حوالي ثلاثمائة وثلاثين كلمة.

تقديم البحث:

وفقا للمبادئ التوجيهية لهيئة التعليم العليا في باكستان (HEC) وللتسجيل مع وكالات الفهرسة الدولية، يجب على الباحث التسجيل في نظام المجلات عبر الإنترنت (OJS) لتقديم البحث للنشر في مجلة الدراسات الإسلامية، لذا، يتم تقديم البحوث عن طريق رابط موقع المجلة:

http://irigs.iiu.edu.pk:64447/ojs/index.php/aldirasatalislamiyyah/login

ويمكن التواصل للاستفسارات بعنوان بريد إلكتروني: **dirasat@iiu.edu.pk**

تقدم خمسة وعشرون مستلا من البحث المطبوع إلى الكاتب مع نسخة من المجلة.

طرق الإحالة:

١: تخريج الآيات القرآنية:

يذكر اسم السورة ورقم الآية في تخريج الآيات القرآنية.

مثال : سورة الدخان، الآية: ٣٨

٢: تخريج الأحاديث النبوية:

يذكر الأحاديث النبوية مع بيان مصادر الأحاديث الأصلية ورواتها وجميع المعلومات اللازمة من محل الطبع وتاريخ الطبع ورقم الجزء والصفحة.

مثال: أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في قتل الذر، رقم الحديث: ٥٢٦٨ (الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٩م) ط١، ج ١ص٩٥١.

٣: كتاب:

أن تكون إحالة الكتاب بوضع اسم المؤلف الشخصي واللقب، ويرد بعد هذا اسم الكتاب، وأن يُبين مكان طبع المصدر، وتاريخه، ورقم المجلد إذا كان متعدد المجلدات، ورقم الصفحة. أما إذا اشترك في تأليف الكتاب ثلاثة أو أربعة فينبغي أن تذكر أسماء الجميع، ولو اشترك في تأليف الكتاب أكثر من أربعة ذكرت اسم من اشتهرت صلة الكتاب به أكثر من سواه.

المثال الأول: أبوالسعود محمد بن محمد الحمادي، **إرشاد العقل السليم،** (بيروت: دارإحياء التراث العربي، ١٤٤٠هـ) ط١، ج ٤ ص ١٦٠.

المثال الثاني: أبوالسعود محمد بن محمد الحمادي، **إرشاد العقل السليم،** (بيروت: دارإحياء التراث العربي، بدون التاريخ والطبع)، ج٤ص١٦٠.

المثال الثالث: المصدر السابق، ج٢،ص١٤٠.

٤: البحث العلمي:

إذا كان الاقتباس من مجلة أو صحيفة، فيجب أن تشمل: اسم مؤلفه وعنوان المقال واسم المجلة ورقم المجلد والعدد وتاريخه كما يلي.

مثال: محمد كريم إبراهيم، "العلاقات التجارية بين عدن والهند"، مجلة **الدراسات الإسلامية**، المجلد: ٥٤، العدد: ٢، عام: ٢٠١٧م، ص١٥٠.

٥: المجلات الإلكترونية:

إذا كان الاقتباس من المجلة الإلكترونية فيجب أن تشمل: اسم المؤلف،عنوان المقال، اسم المجلة ورقم العدد التاريخ.

٦: المواقع الشبكية:

"Mcdonald's Happy Meal Toy Safety Facts" Mcdonald's corporation accessed July 19, 2008. http://www.mcdonalds.com/corp/about/factsheets.html.

٧: الموسوعات:

CH. Pellat, "Hayawan" in the encyclopedia of Islam, ed, B Lewis, V.L.Menage, CH pellate and J. Schaacht(Leiden: E.J.Brill, 1986)3: 307

رئيس التحرير، مجلة الدراسات الإسلامية

مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، باكستان

المحتوى

ضيوف العدد

فيصل أحمد ناجي محسن العطائي

رئيس قسم السنة النبوية وعلومها،

الجامعة الإسلامية منيسوتا، المركز الرئيسي، الولايات المتحدة الأمريكية

***

عبد الملك الرسولفوري

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية،

كلية ذاكر حسين دهلي، الهند.

***

محمد نواز

أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية،

الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان

***

صاحب عالم الأعظمي الندوي

باحث بمركز حسن للدراسات التاريخية،

جامعة قطر، قطر.

***

رؤية الأميرة الهندية سكندر بيجم للوضع الاجتماعي والثقافي في مكة وجدة في القرن الثالث عشر الهجري

صاحب عالم الأعظمي الندوي*

Abstract

Indian Princess Sikandar Begum's Observations about the Socio-cultural Conditions of Mecca and Jeddah in the Thirteenth Century AH

Sahib Alam Al-Azami Al-Nadwi*

This paper aims to study the socio-cultural conditions of Mecca and Jeddah during the nineteenth century AD. It examines these conditions through the account of Princess Sikandar Begum, Nawab of Bhopal, who made a pilgrimage to Mecca in 1863-1864 AD and stayed there for about six months. In her book titled Tārīkh-i Safar-i Makkah, Begum recorded details of the events, customs, and traditions that she observed. The importance of this account lies in the fact that it is one of the first Urdu accounts, in which one finds details about the socio-cultural conditions of Mecca and Jeddah. Most of the accounts and memoirs that were written by Indian travellers during that period only paid attention to the religious and spiritual manifestations of life in Arab cities. Begum's memoir, on the other hand, is the first of its kind to offer a clear description of the social and

* باحث بمركز حسن للدراسات التاريخية، جامعة قطر، قطر.

* Research Scholar, Markaz Hassan, University of Qatar, Qatar.

DOI: https://doi.org/10.52541/adal.v56i3.1912

cultural life of Arabia in the 1860s, with little attention to her spirituality. Thus, Begum's account comes very close to an anthropologist's record.

Keywords:
Sikandar Begum, Tārīkh-i Safar-i Makkah, pilgrimage, socio-cultural conditions.

Summary of Article

This research paper analyses the travelogue of Princess Sikandar Begum, Nawab of Bhopal. It begins with the introduction of Bhopal State, which was a princely state in British India, established in the Mughal era after the death of Aurangzēb ʻĀlamgīr. What distinguishes the State of Bhopal is that from 1235 AH/1819 AD to 1345 AH/1926 AD, four women ruled it during turbulent times in India. The first of them was Qudsiya Begum (d. 1299 AH/1881 AD), who was succeeded by her only daughter Sikandar Begum (d. 1284 AH/1868 AD), who was succeeded by her only daughter Shāhjahān Begum (d. 1318 AH/1901 AD), from whom the rule was transferred to her only daughter Sultan Kaikhusrau Jahān Begum (d. 1348 AḤ/1930 AD). These women were proud of their Afghani ethnicity.

Furthermore, they departed from the traditions that existed at the time, engaged themselves in the state affairs with all seriousness and sincerity, and contributed to the revitalization of religious, political, administrative, cultural, and social life whenever they found a way to do so.

This memoir was translated into English with the permission of the writer. The introduction and the manuscript of the memoir indicate that they were originally scattered quick notes, which Begum took during her journey to Jeddah and Mecca. After returning from the pilgrimage, these notes and papers were collected together and reorganized to make a coherent narrative. The written copy has about two hundred and fifty pages. It includes appendices that contain brief notes on the places, shrines, and mosques visited by Sikandar Begum in Mecca and Jeddah and instructions on how to perform the rites of ḥajj, ʻumrah, and ziyārah. It was also translated to Arabic by Thumāmah Fayṣal b. Abī ’l-Makārim in association with Ibrāhīm Muḥammad Baṭshān. The translators mention that they could not trace the original Urdu version of this book in the Indian libraries and archives. Nevertheless, the present author has found the Urdu version of this memoir and thus studied all the three available versions comparatively before starting work on this research paper.

Examining the text of the memoir and evaluating its contents make it clear that Begum was well versed in the Urdu language, wrote it down skillfully, and recorded the events, facts, customs, and traditions of the Arabs attractively and critically at the same time. Her observations are characterized by strength and accuracy in details and she deals with many civilizational and cultural aspects. This encourages the reader—whether a scholar, student or layperson—to rethink the established notions of British colonial travel diaries. On the other hand, it is not surprising if one finds exaggeration, arrogance, or sharp criticism in some places.

The article discusses the following aspects of this memoir:

1. Begum's opinion about religious and spiritual feelings
2. Begum's opinion about the Turkish authorities and their administration
3. Begum's opinion regarding the buildings of Mecca and Jeddah and their surroundings
4. Begum's opinion concerning the moral and ethical characteristics of the people of Mecca, their ways of living, and their dealings
5. Begum's opinion relating to the weather of Mecca, its natural bounties, and its animal wealth
6: Begum's opinion relating to some customs, traditions, and issues of Meccan society

In the final analysis, it can be said that while portraying the conditions of the people living in Mecca and Jeddah, Sikandar Begum did not hesitate to convey her observations with accuracy and boldness nor did she shy away from criticizing the prevailing bad habits and corrupted morals and the widespread misrule and mismanagement. However, she also offered viable solutions to the problems. Nevertheless, one notices that her criticisms at times are not without exaggeration, in which multiple generalizations appear. The contents of the memoir often suggest that it expresses the views that were prevalent in the West regarding Arab and Islamic countries and the conditions of their people. She appears to write her memoir reflecting the Western views and beliefs. It is difficult to conclude from her memoir that everything that she mentioned is conclusive, but it does reflect her insights into the real conditions of a class or groups of society in Mecca and Jeddah during her stay there.

توطئة

حظي أداء فريضة الحج بقسط وافر من اهتمام الهنود، رغم ما تكبَّدوه من مشاقّ، وما واجهوا من مخاطر، فكلُّ مَن يتصفَّح مذكراتهم التي دوَّنوها توثيقًا لرحلاتهم إلى الحرمين الشريفين، وآثارهم الأدبية بصددهما؛ يجد معظمها ينصبُّ في هذا الاتجاه، ويدور في فلَكه، ولعلَّ نظرة واحدة إلى مذكراتهم ومضامينها كفيلة بالبيان، وغنية عن الإسهاب، ودليل على المدّعى. ولم تترك مذكراتُهم مجالًا من مجالاتِ حياة الحرمين إلا وألقَوا عليه الضوء إجمالًا أو تفصيلًا، ولذا تتوافر مذكراتُ الهنود لرحلات الحج بعدد لا يُحصى، فإنَّ تاريخ تدوين مذكراتِ رحلات الحج قديمٌ في الهند، حيثُ عُني علماؤها وأدباؤها وشعراؤها وشيوخها وأمراؤها بتوثيق ملاحظاتهم ومشاهداتهم في أثناء رحلات الحج في العصور الإسلامية والاستعمارية، باللغاتِ العربية والفارسية والأردية والهندية، وباللغاتِ الهندية الأخرى. وفي اللغة الأردية وحدها ثمة نحو ثلاث مائة مذكرة رحلة حجٍّ مطبوعة. وهذه المذكرات المدوَّنة باللغتين الفارسية والأردية هي على نوعين: مطبوعة وغير مطبوعة؛ فالمذكرات المطبوعة متوافرة بسهولة ويُسر في معظم المكتبات الهندية والباكستانية، أما المذكرات غير المطبوعة، وخاصة القديمة منها والمسطورة باللغة الفارسية، فهي قليلة للغاية، ويصعب الحصول عليها؛ ولذلك تحظى هذه المذكرات بأهمية قصوى؛ لأنها تحوي معلوماتٍ قديمة عن أحوال الحرمين الشريفين وأوضاعها، وتزداد أهميتها وقيمتها أكثر عندما ننظر إليها من ناحية البحث والتحقيق.

وكما ذكرتُ في السطور السابقة، تشرح معظمُ مذكرات الهنود عن الحج تفاصيلَ الحج وأركانه وشعائره، فضلًا عن وصف الطرق التي كان يسلكها الحجاج للوصول إلى أرض الحجاز، بالإضافة إلى معلومات عن المقامات الحجازية، والمزارات المقدسة ومنها: الكعبة المشرفة والصفا والمروة ومِنى وعرفة ومزدلفة، وجنة المعلاة وجنة البقيع وغيرها، وما كانوا يشاهدونه في هذه المقامات المقدسة، والسفر إلى جدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة، والمقامات والمزارات الأخرى في بلاد الحجاز، وقد تتجاوز بعض هذه المذكرات الهدفَ الرئيس منها إلى تسجيل أخبار رحلات

أصحابها إلى الدول العربية الأخرى مثل: العراق والشام وفلسطين ومصر وغيرها. وكذلك يتضح من تقييم مضامين تلك المذكرات أنَّ معظمها دُوِّنت بهدف تقديم تعليماتٍ وإرشاداتٍ عن كيفية خوض تلك الرحلة الدينية، فضلًا عن تبيين آداب الحج ومناسكه والأحكام والمسائل، وتاريخ المقامات والمزارات المقدَّسة، مع ذِكر سِيَر الرموز الدينية، والانطباعاتِ المختلفة عن الوضع الاجتماعيِّ والثقافيِّ والدينيِّ والعلميِّ في الحرمين الشريفين؛ بنيَّة إفادة القرّاء من معلوماتها ومقالاتها، ولتشويقهم للسفر من أجل الحج. وهكذا، خرجت مذكراتهم عن رحلات الحج والزيارة إلى حيز الوجود، باعتبارها خواطر ويوميات وتقارير عن الأوضاع والأحداث التي عايَنوها في أثناء الحج والزيارات[١].

ومن بين أوائل المذكراتِ الأردية؛ تلك التي دوَّنتها الأميرة سكندر بيگم (المتوفاة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٨م) بعنوان "تاريخ سفر مكة" في غضون سنتين أو ثلاث سنوات، بعد عودتها من رحلة الحج، فيما بين عامي ١٢٨٠-١٢٨٣هـ/ ١٨٦٤-١٨٦٧م. فقد غادرَت بيگم مدينة بهوپال في ٢٢ جمادى الأولى عام ١٢٨٠هـ/ الموافق ٥ نوفمبر عام ١٨٦٣م، وركبَت البحر في ميناء بومباي إلى جدة في ٢٥ رجب الموافق ٦ يناير، ووصلَت إلى ميناء جدة في ١٣ شعبان الموافق ٢٣ يناير من العام نفسه. ولبثَتْ بجدة وبمكة نحو ستة أشهر، أدَّت خلالها فريضة الحج، ثم قفلَت راجعةً إلى الهند، واتخذَت من جدة مخرجًا، فركبَت البحر إلى بومباي، ووصلتْها في ٥ محرم عام ١٢٨١هـ/ الموافق ٢١ يوليو ١٨٦٤م. وكان في معية بيگم في رحلتها تلك نحو ألف وخمس مائة شخص؛ معظمهم من النساء من أهالي بهوپال، استأجرَت لهم ثلاثَ سفن، وحملَت معها حمولةً ضخمةً من الحُليّ والملابس والمؤن؛ لاستعمالها وإهدائها إلى الأمراء والحكام، وتوزيعها على الفقراء والمساكين في الحرمين الشريفين[٢]. وقد كتبت بيگم عن ذلك قائلة:"إنَّ الأمتعة التي جلبتُها معي من بهوپال ليست

١- محمد شهاب الدين، *اُردو میں حج کے سفرنامے* (عليگره: دار الكتب العالمية، دون تاريخ) ص ٣٥.

٢- محمد أمين مارهروي، *بیگمات بھوپال* (بهوپال: مطبع سلطاني، ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م) ص ٥٤.

للتجارة، بل هي في الحقيقة كفايتُنا من المؤن والملابس وأدوات الطبخ لمدة سنة واحدة، وتشمل أيضًا بعض الملابس التي نعتزم توزيعَها على فقراء مكة والمدينة، وأما الحُليُّ والمجوهرات، فقد كنتُ جلبتُها لأتصدَّق بها"[٣]. وعلى أية حال، وبعد الوصول إلى جدة اكترَت بيگم نحو سبعمائة جَملٍ لنقْل أمتعتها وأفراد قافلتها إلى مكة. ورافقَتها في حِجَّتها أمُّها النواب قدسية بيگم، وخالُها النواب فوجدار محمد خان، وغيرُهما من أعيان الإمارة وموظَّفيها وخدمها [٤].

والسؤال المطروح هنا: ما السماتُ البارزة لمذكراتها عن رحلة الحج؟ وما الصفاتُ التي تميزها عن مذكرات رحلات الحج الأخرى التي دُوِّنت في القرن الثالث عشر الهجري وما بعده، سواء باللغة الفارسية أم الأردية؟ إذَن، الإشكالية التي تريد هذه الورقة أنْ تطرحها وتناقشها تتعلق بالجوانب التي تطرَّقت إليها بيگم في مذكراتها، وما إذا كانت تلك الجوانب والموضوعات اقتصرَت فقط على إبراز العلاقة الروحانية بالحرمين الشريفين والحج، وذِكر الانطباعات والكيفيات الذهنية والقلبية والحماسية مع الله سبحانه وتعالى في سياق بيت الله ومشاعر الحج ومقاماتها المقدسة، مثلما نجد في معظم المذكرات المشابهة التي دُوِّنت في الحقبة التاريخية، أمْ أنَّ بيگم لم تولِ اهتمامًا خاصًا لتدوين انطباعاتها الدينية والروحية البتة، أمْ أنها ركَّزت على تدوين انطباعاتها عن الأحوال الاجتماعية والثقافية والعادات والتقاليد في المأكل والمشرب والملبس... إلخ في الحجاز؟ وإلى أيِّ مدى نجحَت في تدوين تلك الانطباعات؟ هذا، وقبل البحث عن الإجابات عن تلك الأسئلة، وتعريف مذكراتها ودراسة مضامينها، لعلَّ من المفيد أنْ أُقدِّم بكلمة وجيزة عن إمارة بهوپال، وعن سكندر بيگم.

٣- مذكرات رحلة حج لأميرة بوبال، النواب: سكندر بيغم (١٢٣٣-١٢٨٥هـ)، ترجمة عربية: إبراهيم محمد بطشان وثمامة فيصل بن أبي المكارم، (دهلي: ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)، ص٤٨-٤٩.

٤- **مذكرات سكندر بيگم**، ص ٢١-٢٢.

المبحث الأول: تعريف إمارة بهوپال وترجمة وجيزة لسكندر بيگم وتعريف مذكرة.

أولاً: تعريف إمارة بهوپال

كانت منطقة بهوپال الواقعة في وسط الهند، من أكبر الولاياتِ المستقلة التي برزَت خلال فترة انهيار الإمبراطورية المغولية في مستهل القرن الثاني عشر الهجري/ السابع عشر الميلاديِّ؛ وذلك بعد وفاة السلطان أورنگ زيب عالمگير المتوفى ١١١٨هـ/ ١٧٠٧م[٥]. وكان الأمير دوست محمد خان بن نور محمد خان، من قبيلة مِيرازِي خَيل الأفغانية (المتوفى ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م) واليًا عليها من جانب الدولة المغولية في تلك الفترة الحرجة، غير أنه استغلَّ التفكك السياسيَّ والعسكريَّ للدولة المغولية لتأسيس الإمارة الإسلامية المستقلة في عام ١١٢٠هـ/ ١٧٠٩م، وجعل من مدينة بهوپال عاصمةً لهذه الإمارة. وبنى فيها قلعة سماها "فتح كره"، وبقي في نضال ودفاع عن إمارته الجديدة حتى وفاته[٦]. ونتيجة لمعاهدة الأنجلو بهوپال في عام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م، أصبحَت تلك الإمارة تحت رعاية الاستعمار البريطانيِّ وإشرافه على عهد النواب نظر محمد خان، والد سكندر بيگم؛ وذلك في إطار النظام السياسيِّ المعروف باسم "التحالف الفرعي"، أو "السيادة المشروطة"؛ الذي أُسِّس نتيجة إجراء سلسلة من "معاهدات الصداقة والتعاون" التي جرى التفاوض عليها بين الإماراتِ والأقاليم الهندية المستقلة، وشركة الهند الشرقية في أواخر القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع

٥- قدم المؤرخون تفسيرات عدة للانهيار السريع للدولة المغولية ما بين عامي ١١١٨- ١١٣٢هـ/ ١٧٠٧-١٧٢٠م، وخلصوا إلى أن التدهور السياسي والاقتصادي والثقافي هو السبب المباشر الذي أسهم في تضعيف الدولة وسقوطها فيما بعد. للتفصيل راجع الدراسات الآتية:

Richards, J.F., "***Mughal State Finance and the Pre-modern World Economy***", **Comparative Studies in Society and History**, 23 (2), (1981), pp. 285-308; Habib, Irfan, "***Potentialities of Capitalistic Development in the Economy of Mughal India***", Journal of Economic History, 29 (1), (March 1969), pp. 32-78; Leonard, Karen, "***The 'Great Firm' Theory of the Decline of the Mughal Empire***", **Comparative Studies in Society and History,** 21 (2), (April 1979), pp. 151-167.

٦- محمد مهدي، ***تاريخ بهوپال*** (أگره: مطبع عزيزي، دون تاريخ) ص١٨.

عشر الميلاديين[٧]. وكانت تلك السيادة المشروطة تسمح لشركة الهند الشرقية - ثم الحكومة البريطانية لاحقًا - بالتدخل في الشؤون الداخلية لتلك الولايات الأميرية تدخُّلًا مباشرًا، مما جعلها عرضة للتحالف والتبعية والخضوع لهيمنة البريطانيين وسلطتهم [٨]. ووفقًا لتلك المعاهداتِ والاتفاقياتِ؛ احتفظَت تلك الإماراتُ أو الولايات أو الدول الأميرية بحُكامها وأنظمتها القانونية، وبقواتها العسكرية الأولية غير المتطورة أيضًا، غير أنها لم تعُد تتحكم في إدارة شؤونها الخارجية بعدما تولَّتها شركة الهند الشرقية، ثم الحكومة البريطانية لاحقًا؛ وعليه، أُرغمَت تلك الإمارات المستقلة على قبول تعيين المقيمين السياسيين البريطانيين في أراضيها [٩].

وبما يميز إمارة بهوپال، أنه خلال مدة ما بين عام ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م، إلى عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م قيام أربع نساء من الأسرة الحاكمة بحُكمها في أيام شهدت الهند فيها ظروفًا صعبة. أوَّلُهُنَّ: النواب قدسية بيگم (المتوفاة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م)،[١٠] وورثَت ابنتها الوحيدة سكندر بيگم (المتوفاة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٨م)،[١١] التي خلفَت ابنتها الوحيدة شاهجهان بيگم (المتوفاة عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م)،[١٢] التي ورثَت عنها الحكم ابنتُها الوحيدة سلطان كيخسرو جهان بيگم (المتوفاة ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م) [١٣]. وكان هؤلاء النسوة يفخرنَ بعِرقهنَّ الأفغانيِّ، وخرجنَ عن المظاهر التقليدية القائمة آنذاك، وشاركنَ في مزاولة شؤون الدولة بكلِّ جدية وإخلاص، وأسهمنَ

٧- النواب شاه جهان بيگم، **تاج الإقبال أو *تاريخ بهوپال*** (كانپور: مطبع نظامي، ١٢٨٩هـ)، ج١، ص١٣، محمد مهدي، *تاريخ بهوپال*، ص٣٠.

8- Ramusack, Barbara, **The Indian Princes and their States, The New Cambridge History of India,** (Cambridge and London: Cambridge University Press, 2004), p. 85; Proceedings of the Indian History Congress, (Delhi: Indian History Congress, 2002), Vol. 63, p. 535.

9- C.E. Luard, **Bhopal State Gazetteer**, (Calcutta: Superintendent Government Printing India, 1908), Vol. III, p. 129.

١٠- محمد أمين مارهروي، *بيگمات بهوپال*، ج١، ص ٣٦-٤٤.

١١- المصدر السابق نفسه، ج١، ص ٤٥-٧٢.

١٢- المصدر السابق نفسه، ج١، ص ٧٣-٩٨.

١٣- المصدر السابق نفسه، ج٢، ص ١-٢٥.

في تنشيط الحياة الدينية، والسياسية، والإدارية، والثقافية، والاجتماعية كلما وجدنَ إلى ذلك سبيلًا.

ثانياً: ترجمة وجيزة لسكندر بيگم

وُلدت النواب سكندر بيگم في ٢٨ شوال عام ١٢٣٣هـ/ الموافق ١٢ أغسطس عام ١٨١٨م[١٤]. وتُوفي والدها النواب نظر محمد خان بعد ولادتها بعام وثلاثة أشهر، وتولَّت والدتها قدسية بيگم التي كانت تتمتع بقدرات وكفاءات عالية في الشؤون الإدارية رعايتها وتربيتها، تحت إشرافها المباشر[١٥] تلقَّت سكندر بيگم تعليمها على مشاهير العلماء والشيوخ البارزين في ذلك الوقت. فقد عيَّنت والدتها معلمين متخصصين في جميع العلوم والفنون لتدريسها وتدريبها[١٦]. ومن بين الفنون الأخرى، برعَت بيگم أيضًا في فنون الحرب والقتال، فقد كانت امرأة جريئة وشجاعة للغاية، وكان صيد الأسد هوايتها المفضلة، كما أنها كانت ماهرة في لعب البولو، ومتقنة فنّ المبارزة[١٧].

ولأنَّ والدها لم ينجب سواها، كانت سكندر الأحقَّ بالولاية من بعده، خاصة أنَّ والدها قد أوصى قبل وفاته بتعيين زوجته قدسية بيگم وصيةً على سكندر إلى أنْ تكبر وتتزوج، فيصير زوجها حاكمًا. وقد تمَّ ذلك، حتى تزوجَت سكندر النواب جهانگير محمد خان في عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٥م، فأصبح جهانگير حاكمًا، لكنه لم يلبث أنْ أصيب بمرض أعاقه عن أداء مهامه، واشتدَّ به المرض حتى توفي عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م[١٨]. وكان جهانگير قد أوصى قبل وفاته بتعيين ابنه دستگير محمد خان من إحدى إمائه خليفة له، غير أنَّ سكندر بيگم كافحَت من أجل حقِّ ابنتها

١٤- محمد أمين زبيري مارهروي، *حيات سلطاني* (آگره: مطبع عزيزي، ١٩٣٩م) ص٢.

15- Sultan Jahan Begum of Bhopal, Hayat-i-Qudsi: Life of the Nawab Gauhar Begum alias the Nawab Begum Qudsia of Bhopal, tr. W.S. Davis (London: Kegan Paul, Trench, Trubner & Co Ltd. 1918), Ch. 14.

١٦- محمد أمين مارهروي، ***بيگمات بهوپال***، ص٤٥.

١٧- صاحبه، ***تذكرة بيگمات بهوپال*** (لاهور: دار الإشاعة، ١٩٣٣م) ص١١.

١٨- رضيه حامد، ***نواب سلطان جهان بيگم*** (بهوپال: دار باب العلم، ٢٠١١م) ص٣٦.

شاه جهان بيگم في الإمارة، وطالبَت الحكومة البريطانية بتعيينها وصيةً على ابنتها إلى أنْ تتزوج فيصير زوجها حاكمًا للإمارة[١٩]. فتدخَّلت السلطات البريطانية وعيَّنت النواب فوجدار محمد خان، خال سكندر بيگم وصيًا على شاه جهان، وسمحَت لسكندر بمشاركته في إدارة شؤون الحكم، ولكنها عزلته لاحقًا لعجزه عن إدارة شؤون الإمارة كما يجب، وعيَّنت مكانه سكندر وصيةً في عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م[٢٠].

اندلعَت الثورة العامة في عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٧م، ودخلت الهند حالة عصيان مدني وتمرد عامّ، في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الصراع بين الثوار والمحتلين تدخَّلت سكندر؛ لا لتدعم الثوار، وتسجل اسمها في سجلات الشرف والتحرير والاستقلال، بل لتوفر ملجئًا آمنًا لجنود الاحتلال في بهوپال، وتقمع العصيان والتمرد داخل الإمارة[٢١]. ولما انتصر المحتلون، وبسطوا سيطرتهم على الهند، لم ينسوا ما أسدتْه لهم سكندر من دعم ومساعدة مادية ومعنوية؛ فحظيَت الإمارة بعناية خاصة، ونالت بهوپال مكانة مرموقة ومتميزة في ظلِّ الاحتلال والاستعمار، فلم تلبث أنْ أصبحت من أقوى الإمارات الهندية وأكثرها تقدُّمًا ورُقيًا، وكان عهد سكندر العصر الذهبي في تاريخ تلك الإمارة[٢٢].

وكانت سكندر تستحق منصب الحاكم؛ لأنها الوارثة الوحيدة لأبيها؛ ولأنَّ ابنتها شاه جهان صغيرة السنّ، فطلبَت من الحكومة البريطانية تعيينها حاكمة بدلًا من أنْ تظل وصية، فوافقَت الحكومة واشترطَت موافقة شاه جهان، التي وافقَت على ذلك، فانفردَت سكندر بحكم إمارة

١٩- محمد أمين مارهروي، ***بيگمات بهوپال***، ص ٤٧-٤٨.

٢٠- شاهجهان بيگم، ***تاج الإقبال***، ج١، ص ٣٦، ج٢، ص٥.

٢١- **مذكرة سكندر بيگم**، ص١٨. لمزيد من التفصيل عن معرفة موقفها من تلك الثورة في داخل إمارتها أو خارجها راجع:

Shaharyar M. Khan, **The Begums of Bhopal**: A Dynasty of Women Rulers in Raj India (London: I.B. Tauris, 2000), pp. 97-102.

٢٢- شاهجهان بيگم، ***تاج الإقبال***، ج٢، ص١١.

بهوپال عام ١٢٧٦هـ/ ١٨٦٠م، وظلت كذلك حتى وفاتها في ١٢ رجب ١٢٨٥هـ/ الموافق ٣٠ أكتوبر ١٨٦٨م[٢٣]. وقد قامت سكندر بإصلاح جميع الشؤون المالية والإدارية وتحسينها؛ نظرًا لقدراتها الهائلة ومهاراتها العالية، وعقلها اليقظ وعملها الجادّ ليلًا ونهارًا. وقد ركّزَت على إصلاح النظام العسكري تركيزًا كبيرًا، وسنَّت قوانين خاصة وصارمة بشأن التدريب العسكري والتسليح. فكانت امرأة ذات قدرات مذهلة، وتحمل قلبًا وعقلًا لا نظيرَ لهما، وكانت معروفة بذكائها الحادّ ورؤيتها الثاقبة التي كانت تبهر الجميع. وكذلك قامت بإنشاء المستشفيات وتوسيع خدماتها، كما اهتمَّت بشقّ الطرق، وحفر الآبار والبرك، وإنشاء النُّزُل للمسافرين، وزراعة الحدائق، وإصلاح الأراضي الزراعية، وبناء العديد من المنشآت الدينية والاجتماعية الجميلة، فضلًا عن المدارس والمعاهد الفنية. وخلال فترة حكمها امتلأت خزانة الإمارة فتمكَّنت من سداد جميع الديون والقروض[٢٤]. وفي الوقت نفسه، اتخذَت خطواتٍ جريئة في تعليم المرأة وتثقيفها وترقيتها ورفاهيتها. فكانت بيگم حاكمةً مجتهدة وشجاعة وواسعة الفكر والذكاء، كما كانت ماهرة في إدارة شؤون البيت وسيدة منزل من طراز فريد، وكانت مهتمة أيضًا بالخياطة والتطريز[٢٥].

ثالثاً: تعريف مذكرة سكندر بيگم

ما إنْ قررَت بيگم الخروج للحج، حتى وصل الخبر إلى السلطاتِ البريطانية، وأبدى أمينُ سرّ الشؤون الخارجية البريطانية، العقيد دوراند (Major-General Sir Henry Marion Durand)، الذي شغل منصب المقيم السياسي سابقًا لإمارة بهوپال، رغبته في سماع انطباعاتِ بيگم عن العرب، وعن أحوال مكة، وشاركته زوجُه هذه الرغبة، وكتبا بذلك إلى بيگم؛ لذا نجد أنَّ بيگم استهلَّت مذكراتها بذكر كتابهما إليها "تلقيتُ في غرة شهر المحرم عام ١٢٨٠هـ/ الموافق للسادس من شهر

٢٣- محمد أمين زبيري، *بيگمات بهوپال*، ص٥٠-٥١؛ شاهجهان بيگم، *تاج الإقبال*، ج٢، ص٦.

٢٤- محمد أمين زبيري، *بيگمات بهوپال*، ص ٤٩.

٢٥- راجع: طيبه بي، *تاريخ فرمانروايان بهوپال* (بهوپال: مطبع بهوپال ١٩٧٧م) ص ٧٨.

مايو عام ١٨٦٤م، رسالة من زوج أمين سرّ الشؤون الخارجية؛ العقيد دوراند، وقد قالت في كتابها ذلك: إنْ قُدِّر لسموّكِ أنْ تسجلي مذكراتٍ لرحلة حجِّك، فسأبتهج لقراءتها، وكتب إليَّ زوجها أيضًا، أنه يتلهف إلى سماع انطباعاتي عن أحوال العرب عامة، وعن مكة خاصة. وأجبتُهما: أنني سوف أستجيب لطلبهما بعد عودتي من الحج، فجاءت هذه المذكرة؛ وفاءً بذلك الوعد، التي أُعدَّت معتمدة على الملاحظات التي دوّنتها في أوراق متفرقة حول رحلتي إلى مكة"(٢٦). على أنه يبدو من مضامين خطاب ألقاه الرائد ج. مالسون (G.B. Malleson) في معهد دلهوزي في عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م، أنَّ ذلك الطلب من المقيم جاء ردًا على مكتوب سابق بعثَت به سكندر بيگم إليه. ومن المرجّح أنها قد كتبَت إلى دوراند قبل مغادرتها في رحلتها؛ طالبةً منه الصفح والعفو إنْ بدَر منها أيُّ إساءة تجاهه خلال السنوات الخمس أو الست التي قضاها مقيمًا في بهوپال، فكانت نيتها أنْ تغادر لرحلة الحج بأكبر قدْر ممكن من الصفاء والنقاء(٢٧).

ويتضح من مقدمة المترجمة الإنجليزية، ومن النسخة الخطية للمذكرة أنَّها كانت في الأصل عبارة عن ملاحظاتٍ متناثرة سريعة دوَّنتها بيگم خلال رحلتها، وفي أثناء إقامتها في جدة ومكة، ثم جُمعت هذه الملاحظات، وتلك الأوراق إلى بعضها البعض، وصُهرت موادها في قالب واحد جديد متماسك بعد عودتها من رحلة الحج، وأُعدت تلك المذكرة الخطية التي اعتمدَت عليها زوج المقيم في ترجمتها إلى الإنجليزية. وتجمع لغة المذكرة بين الأردية الفصحى، واللهجة العامية الدارجة في إمارة بهوپال آنذاك، وفي بعض المواضع من المذكرة نجد مفرداتٍ واصطلاحاتٍ غريبة ومستعصية على الفهم. والنسخة الخطية تقع في نحو مائتين وخمسين ورقة؛ تشمل ملاحقَ تحتوي بياناتٍ مختصرة عن أسماء الأماكن والمزاراتِ والمساجد التي زارتها سكندر بيگم في مكة وجدة، فضلًا عن التعليمات والإرشادات الخاصة بكيفية أداء مناسك الحج والعمرة والزيارة. ولعلَّ بيگم كانت تعتمد على تلك الملاحق في معلوماتها عن الحج، وكيفية أدائها المناسك، وفي جميع تنقلاتها. ويتبيَّن من

٢٦- مذكرة سكندر بيگم، ص ٣٧-٣٨.

27- **'The Begum of Bhopal'**, The Times (London), 11 April 1865, p. 6.

مطالعة النسخة الخطية أنها غير مرتبة، بالرغم أنها قُسِّمت إلى أربعة وعشرين فصلًا (مقدمة)، غير أنَّ مضامين المذكرة لم توضع وفقًا لتلك الفصول والعناوين التي وردَت في فهرس المذكرة، بيد أنَّ المترجمة الإنجليزية رتَّبتها بنفسها ترتيبًا زمنيًا في الترجمة الإنجليزية، ورقَّمتها حتى جاءت بالصورة التي هي عليها الآن، حيث قسَّمتها إلى تسعة عشر فصلًا، ولم تضع لها عناوينَ، بل اكتفَت بترقيمها بأرقام متسلسلة. ولم تنسخ من تلك المسودة الأردية سوى نسختين خطيتين اثنتين فحسب؛ فأهدَت إحداهما لزوج العقيد دوراند، وسلَّمت الأخرى للمقيم السياسيِّ البريطانيِّ لإمارة بهوپال آنذاك، ويلوبي أوسبرن (Willoughby-Osborne). وقد أُعجبَت السيدة إيما لورا ويلوبي أوسبرن (Emma Laura Willoughby-Osborne) زوجُ المقيم السياسي بمذكرة سكندر بيگم، ولطالما أدركَت أنها ستكون مفيدة ومثيرة في آنٍ واحد للاهتمام لدى البريطانيين، وعند القراء العاديين على حدٍّ سواء، فقررَت ترجمتها إلى الإنجليزية، و"ذكرت أسبابًا أربعة دعتْها إلى ترجمة تلك المذكرة، **أولها**: كونها أولَ مذكرة دُوِّنت بقلم امرأة شرقية؛ فلم تسبقها أيُّ امرأة حتى ذلك التاريخ على حدِّ علمها؛ **وثانيها**: أنَّ قلة قليلة من الرحالة الأوربيين زاروا الحرمين الشريفين حتى ذلك التاريخ؛ **وثالثها**: لأنَّ مشاهدة الأشياء ووصفها من وجهة نظر شرقية أمرٌ جديدٌ لم يعهده الأوربيون من قبل؛ **ورابعها**: ما حظيت به صاحبة المذكرة من سُمعة طيبة في جميع أنحاء الهند؛ لحصافتها وحنكتها في الشؤون الإدارية، ولحكمتها وبصيرتها، وانفتاح فِكرها في الشؤون السياسية والثقافية، كما ذاع صيتُها في بريطانيا؛ لوفائها وولائها الصادق للحكومة البريطانية خلال الأيام المضطربة عقب الثورة الهندية العامة"(٢٨).

طلبَت المترجمة من بيگم السماح لها بترجمة المذكرة إلى اللغة الإنجليزية، فأذِنت لها، وبدأت الترجمة بالفعل، غير أنَّ مرضًا ألمَّ بها في آخر أيام بيگم، فلم تتمكن من إكمال الترجمة في حياة بيگم، التي تُوفيت في شهر أكتوبر عام ١٨٦٨م، وكانت المترجمة على وشك الانتهاء من الترجمة، ثم أنجزتْها

٢٨- مذكرة سكندر بيگم، ص ٢٢-٢٣.

في يناير عام ١٨٦٩م. طُبعت الترجمة الإنجليزية أول مرة عام ١٨٧٠م في لندن،[٢٩] ثم طُبعت ثانيةً في عام ١٩٠٦م في كلكتا[٣٠]. ثم قامت الباحثة البريطانية سيوبان لامبرت هيرلي (Siobhan Lambert-Hurley) بتحرير تلك الترجمة الإنجليزية من جديد، مع إضافة مقدمة شاملة تقع في أكثر من خمسين صفحة، عرضَت فيها مضامين المذكرة، ومذكراتٍ أخرى للنسوة الهندياتِ، ونشرتْها في مطبعة جامعة إنديانا عام ٢٠٠٨م[٣١]. ثم ترجمها الباحث والأكاديميُّ الهنديُّ ثِمامة فيصل بن أبي المكارم إلى اللغة العربية معتمدًا على الترجمة الإنجليزية، بمشاركة الباحث السعوديِّ إبراهيم محمد بطشان، المدير الثقافيّ السابق للملحقية الثقافية السعودية في دهلي، بعنوان "مذكرات رحلة حج لأميرة بهوپال، النواب سكندر بيگم (١٢٣٣-١٢٨٥هـ)، وطُبعت تلك الترجمة العربية في الهند في عام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م. وقد أفادني المترجم العربيُّ، وكتب أيضًا في مقدمة المذكرة أنه "قد باءت جميع محاولاتنا الحثيثة في البحث عن النسخة الأردية بالفشل، فلم نعثر له على أثرٍ في المكتباتِ الهندية العامة والخاصة، والمجموعات العتيقة لأسرة النواب، ولا في الأرشيفاتِ الهندية، والمجموعات الخاصة"[٣٢].

وهذا ما أكدته الباحثة البريطانية سيوبان بعد البحث عن النص الأرديِّ في المكتباتِ الهندية ودور الأرشيفاتِ في الهند وپاكستان، بأنَّ "الأصل الأرديَّ في حكم المفقود حتى الآن، ولم يذكر أحفاد سكندر بيگم في وقت لاحق هذه المخطوطة الأصلية البتة، ومع أنني بحثتُ عنها في مجموعات أوراق العائلة المالكة المحفوظة في دار الوثائق الوطنية بدهلي، لم أتمكن من العثور عليها، ولعلَّها ضاعت مثل العديد من الوثائق والأوراق الأخرى في بهوپال"[٣٣]. ولم يخطُر في بالها قَطُّ أنَّ

29- **A pilgrimage to Mecca by the Nawab Sikandar Begum of Bhopal**, tr. Mrs Willoughby-Osborne, (London: W.H. Allen & Co., 1870).

30- **A pilgrimage to Mecca** by the Nawab Sikandar Begum of Bhopal, tr. Mrs Willoughby-Osborne, (Calcutta: Thacker, Spink & Co., 1906).

31- Lambert-Hurley, ed. **'A Princess's Pilgrimage: Nawab Sikandar Begum's A Pilgrimage to Mecca'**, (Bloomington: Indiana University Press, 2008); (Markfield, England: Kube Pub., c2007).

٣٢- مذكرة سكندر بيگم، ص ٢٤.

33- Siobhan Lambert-Hurley, **A Princess's Pilgrimage**, Introduction, p. xxix.

المخطوط الأرديَّ لتلك المذكرة قد يكون محفوظًا في مكتباتٍ لندن. فقد حدث أنْ عثر المسؤولون في مكتبة كلية الدراسات الشرقية والإفريقية التابعة لجامعة لندن، في العام الماضي، على إحدى تلك النسختيْن من المذكرة في أوراق المقيم دوراند الخاصة(٣٤). وبينما كنتُ أبحث عنها في المكتباتِ البريطانية الإلكترونية، قُدِّر لي الاطّلاع على صفحة إلكترونية لمكتبة كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن، حيث فوجئتُ بمقالة تعريفية عن تلك النسخة الأردية الخطية. ومن حُسن الحظّ أنهم وضعوا رابطًا لتحميل النسخة الكاملة، وبذلك حصلتُ عليها، وحاولتُ مقارنة جميع النصوص التي استخرجتُها من الترجمة العربية عند توظيفها في البحث، بنصوص تلك النسخة الخطية الأردية التي تحمل ختم سكندر بيگم، وختم إمارتها في الورقة الأخيرة للمخطوط.

هذا، وقد اعتمدتُ في إعداد هذا البحث على الترجمة العربية والإنجليزية، غير أنني رجعتُ أيضًا إلى النسخة الخطية الأردية بعد العثور عليها. ولا ريبَ أنَّ المذكرة وثيقة تاريخية مهمة؛ فقد شُغلَت المؤلفة بالنظر والتحليل لأحوال جدة ومكة الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية السائدة في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري. ولأنَّ بيگم كانت تحكم بلادًا واسعة، وأناسيّ كثرًا، فقد نظرَت إلى الأشياء والناس والحياة في مكة بعينَي حاكمة حازمة، فلا غرو إنْ ورَدَ في بعض المواضع غلوٌّ أو تعالٍ أو نقْدٌ حادّ. وفي الواقع تُقدّم مذكرتها وجهة نظر جنسانية للحج في صورتها التقليدية، وذلك قبل أنْ تؤدي التطوراتُ في النقل والاتصالاتِ إلى إحداث تغييراتٍ بارزة في تجربة الحج خلال القرن العشرين. وعند النظر في نصوص المذكرة وتقييم مضامينها، يتضح تمامًا أنَّ بيگم كانت تمتلك ناصية اللغة الأردية، وبذلك تمكَّنت من تدوينها بمهارة تامة، ورغبَت في تدوين الأحداث والوقائع وعادات العرب وتقاليدهم بصورة جذابة ونقدية في آنٍ واحدٍ، وتتميز مشاهداتُها بالقوة ودقة التفاصيل في الملاحظات عن الأوضاع، ومعالجة جوانب حضارية وثقافية عديدة؛ ما يشجع القارئ – سواء أكان باحثًا أمْ طالبًا أمْ شخصًا عاديًا – على إعادة

34- **'Journal of a trip to Mecca'** by Skandar Baigam, Ra'isah' of Bhopal, Bound manuscript in Urdu, Written at the suggestion of Major-General Sir Henry Marion Durand, 1883 [1284 sh] PP MS 55, Durand, Box 2, File 12.

التفكير في المفاهيم الراسخة المتعلقة بتدوين مذكراتِ الرحلاتِ في عصر الاستعمار البريطانيِّ.

المبحث الثاني: مواقف بيگم.

أولاً: موقف بيگم من المشاعر الدينية والروحانية

مع أنَّ مذكرة بيگم دُوِّنت منذ أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان، تكاد تخلو من أيِّ مشاعر دينية أو روحانية، حتى ولو بطريقة غير تقليدية، ولا سيما فيما يتعلق بكيفية أداء بيگم مناسك الحج والعبادات اليومية. وفي الواقع، نادرًا ما كتبَت عن الأمور الدينية والروحانية. حتى عند وصولها إلى مكة، وهي لحظة روحانية عظيمة، يصوّر فيها الحجاج عادةً مشاعرهم الفياضة، وتطلعاتهم واشتياقهم لرؤية الكعبة المشرفة، كما يعنون بالتعبير عن اندهاشهم وذهولهم من رؤية الكعبة وعظمتها لأول مرة، أمّا بيگم فقد تطرقَت إلى تلك اللحظة بطريقة نموذجية ومختصرة تمامًا، فتصف ما حدث وصفًا تقريريًا مجرَّدًا من أيّ مشاعر روحية. "وصلتُ إلى مكة وقت صلاة العشاء، فكان فضاؤها يدوّي بصوت الأذان المرفوع من مختلف مساجدها. ودخلتُ المسجد الحرام من باب السلام، فلما حاذيتُ مَقامَ إبراهيم وقفتُ تلقاءه، وقرأتُ الأدعية المأثورة، ثم طُفتُ طواف القدوم، وسعيتُ بين الصفا والمروة، ثم قررتُ الذهاب إلى البيت الذي استأجرتُه في مكة"(٣٥).

ذكرَت بيگم الترتيباتِ المتعلقة بالذهاب إلى عرفات ومزدلفة ومنى بالتفصيل، غير أنها لم تشرح قَط مشاعرها، أو ردَّ فعلها على هذه المناسك التي يؤديها الحجاج في حالة من الروحانية والقدسية، والنشاطات الدينية خاصة عند الوقوف بعرفات. ثمة فقرة كاملة عن الترتيبات للحصول على حُراس، في حين كتبَت سطرًا واحدًا فقط تشير فيه إلى الشعائر الدينية، ويُستحسن نقل تلك الفقرة الكاملة؛ لفهم ما كان يدور في ذهنها، ويشغل تفكيرها وهي تؤدي مناسك الحج. تقول: "ولما توجهتُ إلى عرفات، كتبتُ للشريف وللباشا ألتمس منهما اتخاذَ ما يلزم لتوفير حارس يحرس بيتَ الشريف الذي أقيم فيه في مكة حتى عودتي، وتعيين حارس آخر لحراسة مخيمتي في كلِّ

٣٥- مذكرة سكندر بيگم، ص ٨٨.

من: عرفات ومزدلفة ومِنى في أيام الحج، فوافقا على إمدادي بثلاثة حراس: حارس لسكني في مكة، وآخر لمخيمتي في عرفات، وثالث لمخيمتي في منى، ولكنهما رفضا تزويدي بحارس لمخيمتي في مزدلفة. ثم توجهتُ إلى عرفات، وبعد أداء جميع مناسك الحج وواجباته قفلتُ راجعة إلى مكة المكرمة"(٣٦).

وفي موضع آخر، قد يتوقع فيه القارئ إحساسًا بالتأمل الروحي عند انتهاء بيگم من أداء مناسك الحج، ولكن هذه اللحظة أيضًا تمرُّ دون إشارة إلى أفكارها ومشاعرها. لم تُشِر بيگم إلى ذلك إلا في وصفٍ لمراسلاتٍ من جانب شريف مكة قدَّم فيها تهنئته بمناسبة العيد: "وردًّا على رسالتي، أرسل إليَّ الشريف تحياته وتهانيه بمناسبة عيد الفطر وأداء العمرة"(٣٧)، كما لو كان ذلك بمثابة فكرة لاحقة، "لقد أتممتُ مناسك الحج"، بيد أنها في الموضع نفسه وجَّهت المزيدَ من الاهتمام إلى تسطير الترتيباتِ المتعلقة بإقامة وليمة على شرف شريف مكة والباشا؛ إحياءً لذكرى هذا الحدث "ورغبةً مني في استضافة الشريف والباشا في مقرّ إقامتي بمناسبة عيد الفطر المبارك، وإحياء لذِكرى حجَّتي"(٣٨). في مناسبة واحدة أو اثنتين فقط، يجد القارئ ذلك الإحساسَ أكثر وضوحًا بالاستثمار العاطفيِّ الذي ينطوي عليه الذهابُ للحجِّ من وجهة نظر بيگم. وكانت إحدى هذه المناسباتِ عندما أعربَت عن قلقها لعدم تمكُّن والدتها من أداء الطواف بسبب تعرُّض جماعتها لهجوم متكرر من قِبَل الحشود التي جذبَها ما أُشيع عنها من الكرم والحدب على الفقراء. "ذاع صيت سخائها المسرف، وثرائها الجمّ في جميع أنحاء مكة، فاشتدَّ زحام الفقراء حول سموِّها؛ مما حال دون أدائها الطواف، فبدأ الإحباط يتسرَّبُ إلى نفسي، وشعرتُ بالإحراج، حتى لم أستطع تحمُّل هذا الوضع، فبدأتُ أتساءل عن جدوى القدوم إلى مكة لأجل العبادة!"(٣٩).

٣٦- المصدر السابق، ص١٦١.

٣٧- المصدر السابق، ص١٥٩.

٣٨- المصدر السابق، ص ١٥٩.

٣٩- المصدر السابق، ص١٢٦.

وهكذا، فإنَّ الحج بكامله لم يشغل من مذكرة بيگم سوى أسطر قليلة، وهذا أمر عجيب؛ فإنَّ مَن يُطالع مذكراتِ الحجاج الهنود، يجدها تستفيض في وصف مشاعرهم وعواطفهم الدينية والروحانية، حتى بلغَت حدَّ الإسراف في بعض المذكراتِ؛ مما يقلل من القيمة الوثائقية لتلك المذكرات، أما أنْ تخلو المذكرة من أيِّ مشاعر روحانية، فتأتي كأنها جدول أعمال لشخصية مهمة، فهذا مثارُ العجب والغرابة! وعلى العموم، لا يسع المرء إلا أنْ يفكر في أنَّ المترجمة أنيت سوزانه بيفريدج (Annette Susannah Beveridge) أيضًا قد خابت آمالها في مذكرة "*همايون نامه*" للأميرة گلبدن بيگم (المتوفاة ١٠١١هـ/ ١٦٠٣م)،(٤٠) وعبَّرَت عن عدم رضائها لعدم العثور على ما يصوّر ما جاش بصدر تلك الأميرة من مشاعر عندما أدَّت مناسك الحج في عهد السلطان أكبر المغولي (المتوفى ١٠١٣هـ/ ١٦٠٥م) في القرن العاشر الهجري. "كم ستكون مثيرة للاهتمام، لو أخبرتنا أميرتُنا بما في قلبها من انطباعاتٍ ومشاعر عند أداء مناسك الحج، وعند زيارة الأماكن المقدسة التي قامت بها خلال إقامتها الطويلة في الحرمين الشريفين! ولو فعلَت ذلك حقًا لقدَّمت لنا بذلك مبدأ أساسًا كان يمكن من خلاله تفسير المفاهيم الدينية وتوضيحها التي كانت النساء المتديناتُ يُعبّرنَ عنها في أثناء أداء مناسك الحج وطقوسه، إبّان تلك الحقبة التاريخية"(٤١).

٤٠- كانت گلبدن بيگم أميرة مغولية وابنة السلطان بابر، مؤسِّس الدولة المغولية في الهند. كانت تبلغ من العمر ثماني سنوات تقريبًا وقت وفاة والدها عام (٩٣٦هـ/ ١٥٣٠م)، فتربَّت في كنف أخيها الأكبر السلطان همايون. قضت معظم حياتها في كابول إلى أن استقدمها ابنُ أخيها السلطان أكبر إلى مدينة أگرا بالهند. كانت تحظى بمكانة سامية ومنزلة عالية من الحب والتقدير والاحترام لدى كلٍّ من السلطان أكبر، ووالدته حميدة بانو بيگم. حجَّت بيگم ضمن قافلة النساء المغوليات، وقضَت في الحرمين الشريفين نحو سبع سنواتٍ إلى أنْ عادت في عام (٩٨٩هـ/ ١٥٨٢م) واشتهرَت بمذكراتها "*همايون نامه*" التي دوَّنَت فيها أخبار والده وأخيه السياسية والعسكرية، فضلًا عن تاريخ الأسرة المغولية في الهند. لترجمته راجع: صاحب عالم الأعظمي الندوي، **رؤية الرحالة الأوربيين لأوضاع الحرم السلطاني المغولي في الهند إبان القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي** (الرياض: مركز باحثات لدراسة المرأة، ٢٠١٧م) ص١٦٣-١٦٤.

41- Annette S. Beveridge, **The History of Humāyūn** (Humāyūn-nāmā), (Delhi: Low Price Publications, 1996), 'Introduction', pp. 72-73.

ثانياً: موقف بيگم من السلطات التركية وإدارتها

شكت سكندر بيگم في نحو خمس وعشرين صفحة، ما تعرَّضت له أمتعتُها من الإجراءاتِ الطويلة والتعسفية الخاصة بالرسوم الجمركية في ميناء جدة من قبل السلطات التركية. ووفقًا لما كتبت فإنَّ بعض الأموال والأمتعة الخاصة بها وبوالدتها وبملازميها، أتلفها وسرقها الموظفون والملازمون في إدارة الجمارك. فكتبت قائلة: "فرضوا الرسوم على كل الموجودات تعسفًا، ولقد واجهنا من العناء والإزعاج ما لا يمكن وصفه؛ فقد بعثر جميع الأمتعة، وكسر الصناديق التي لم يستطيعوا فتحها. وبالجملة، فقد أُتلفتْ كلُّ الصناديق، وعُبث بمحتوياتها، ومع أننا لم نعرف حتى الآن تفاصيلَ الرسوم التي فُرضَت على كلِّ شيء على حدة، نؤكد أنهم قد فَرَضوا رسومًا على جميع أغراضنا دون إعفاء أيِّ شيء منها"[٤٢]. وقد واجهَت بيگم مشكلة العبث بأمتعتها وإتلافها عند وصولها إلى مكة، وكتبَت عن ذلك منزعجة "بدأ البدو بتنزيل أمتعتنا من على ظهور الجِمال؛ فتبعثرَت الأمتعة، وفُقد كثير منها، بل لقد سُرق منها الكثير، ولم نستطع أنْ نُميّز الضائع منها والمسروق"[٤٣].

ولأنها جلبَت كلَّ تلك الأمتعة الضخمة للأغراض الشخصية، وللتوزيع على الفقراء والمساكين، قدَّمت احتجاجاتٍ شديدة لدى أفراد السلطاتِ التركية، وعند شريف مكة، وفي هذا الصدد أرسلَت رسائل عديدة إلى باشا جدة، وشريف مكة، وإلى القنصلية البريطانية[٤٤]. وقد غلبَ على هذه الصفحاتِ أسلوبُ المراسلاتِ السلطانية؛ المحشوة بالأوامر والنواهي، والدقة والمباشرة والتوثيق والتاريخ، وكأننا نقرأ تلك الرسائل والتقارير التي نجدها في الوثائق البريطانية، وليست مضامين مذكرة. وهذا هو الحال في الفصل الأخير من المذكرة حيث دُوِّن أيضًا ببساطة على نمط مجموعة أخرى من الرسائل المتبادلة تهدف إلى تقديم أسباب لعدم سفرها إلى المدينة المنورة، وتتمثل

٤٢- **مذكرة سكندر بيگم**، ص ٥٨-٥٩.

٤٣- المصدر السابق، ص ٧٩.

٤٤- المصدر السابق، ص ٤٩، ٥١، ٥٤، ٥٩، ٦٥-٦٦.

أهمّ هذه الأسباب في تهديدات البدو، وأحوال الطرق الوعرة، والتكلفة الباهظة... إلخ، "ولهذه الأسباب قررتُ عدم السفر إلى المدينة؛ لما فيه من المخاطر على حياتي وحياة مَن معي من حاشيتي"(٤٥).

وقد أشارت بيگم إلى تسرُّب آفة الرشوة والهدايا والإكراميات إلى كيان الإدارة التركية في الحجاز قائلة: "علمتُ بعد ذلك أنَّ من العادات الشائعة في هذه البقعة من العالَم، أنَّ مَن أراد أنْ تجرى إجراءاتُ أمتعته في سهولة ويُسر وسرعة، عليه أنْ يُقدِّم شيئًا من الهدايا إلى موظفي مكتب الجمارك؛ ولذلك أهديتُهم بعض الهدايا، غير أنهم - وعلى الرغم من تسلُّم تلك الهدايا - لم يلتزموا بتعهداتهم"(٤٦). وعلى أية حال، قد انتهَت بيگم من تدوين تلك الأحداث الخاصة بالجمرك قائلة: "هذا ما حدث معي فيما يتعلق بفرض الرسوم الجمركية على أمتعتي. ولقد كان كلُّ ما كَتبه لي الباشا، والشريف، وشمس الدين ووكيله حول هذه الرسوم المقررة على أمتعتي، مبنيًا على التملق والغشّ والخداع، فلم يفعلوا شيئًا لمساعدتي"(٤٧). والحقُّ أنَّ تلك الإجراءاتِ الجمركية لم تنتهِ إلا بعد المباشر للسلطاتِ البريطانية.

لقد أشارت بيگم أكثر من مرة إلى سوء الفهم الجسيم الذي نشأ بينها وبين المسؤولين والإداريين في جدة حول مسائل الرسوم الجمركية، التي فُرِضَت على أمتعتها المجلوبة من الهند، لدرجة أنها اقترحَت بالفعل تعيين ضباط من كلا الجانبين؛ لضمان مراعاة قواعد التشريفاتِ، وانتهاء الإجراءاتِ اللازمة بسهولة ويُسر(٤٨). على أنَّ الحاجز اللغويَّ كان عقبةً كئودًا صعّبت عملية التواصل ما بين بيگم والإداريين الأتراك خاصة، والشعب العربيّ على وجه الخصوص. ولم تكتفِ بيگم بتقديم الشكاوى مرارًا وتكرارًا – وإن اضطرّت إلى ذلك عن طريق المترجم؛ بسبب عدم

٤٥- المصدر السابق، ص ١٨٥.

٤٦- المصدر السابق، ص ٥٥-٥٦.

٤٧- المصدر السابق، ص ٦٨.

٤٨- المصدر السابق، ص ٥٧-٦٦.

قدرتها على التواصل، وقد عبَّرت عن ذلك عدة مراتٍ، منها قولها: "تمنيتُ ألّا يُسمح لأحد من الأتراك والعرب بالدخول عليَّ دون إذْني؛ لأنني لا أفهم لغتهم ولا يفهمون لغتي؛ ولذلك لا يُحسِنون فهْم ما أرغب في أنْ يصل الشريف" (٤٩)، بل أصدرَت أيضًا في إحدى المرات أمرًا لحرسها بألّا يسمحوا لأيِّ أحد بالدخول دون إذنها، باستثناء زوج جعفر أفندي، وأخت النواب نظير الدولة باقي محمد خان، وأيّ امرأة أخرى تتحدث لغتنا(٥٠).

عند قراءة بعض الفقراتِ الخاصة بالمحادثاتِ التي جرَت بينها وبين الباشا عن الشؤون الإدارية وكيفية إمكان ضطبها في جدة ومكة، يتضح منها أنها قارنتْها بتلك التي تمكنَت من ضبطِها في إمارتها، فلم تلقَ الأمور الإدارية السارية آنذاك في تينك المدينتين إعجابَها البتة، وتصوَّرَت نفسَها على أنها الأميرة المصلحة، ومالكة العقاراتِ، على غرار مالكي العقاراتِ في بريطانيا والتي توقعها الحاكم الإمبراطوريّ. ويمكن العثور على توضيح مفيد لهذا الموضوع في محادثة جرت بينها وبين الباشا؛ حيث شرحَت آراءها حول الأمور الإدارية بكلِّ صراحة وجرأة. ولعلَّ من المناسب الاستشهاد بالفقرة الآتية؛ للوقوف على إحساس واضح بتصوُّرها الذاتي؛ لأنه كان متشابكًا بشكل لا ينفصم مع المعايير البريطانية للحكم الرشيد. عندما أخبرها الباشا بأنَّ "سلطان تركيا الحالي يحب أربعة أشياء: المدفعيات، والبنادق، والسفن، وشقّ الطرق، فسألتْه عمّا إذا يوجد في البلاد التابعة للسلطان سكة حديدية أو خدمة البرقياتِ؟ فقال لها الباشا: نعم، توجد في مصر بين السويس والإسكندرية، وفي بعض المناطق الأخرى أيضًا، فسألته: ولكن لماذا لا يوفّر السلطان هذه الخدماتِ بين مكة والمدينة، وبين جدة ومكة؟ ثم قالت له: إنَّ خدمة البرقياتِ من أهمِّ الخدماتِ التي يجب توفيرها للشعوب، ولو توافرَت هذه الخدمة بين مكة والقسطنطينية فسوف يتمكن السلطان من تلقّي الإجاباتِ عن جميع مراسلاته دون أيِّ تأخير، وسوف يتخذ الإجراءاتِ اللازمة في أسرع وقت

٤٩- المصدر السابق، ص ٩٤-٩٥.

٥٠- المصدر السابق، ص ١٢٤.

ممكن"[٥١].

وفي الواقع، وجَّهت بيگم انتقاداتٍ لاذعة تجاه الإدارة التركية في الحرمين الشريفين، ونعتتها بالتهاون والتواطؤ والفساد والرشى، في حين وصفَت الإداريين بأنهم فاسدون ومرتشون ومنحطّون وخونة. وما دوّنت من النماذج بصدد تلك الظاهرة لهي سابقة لعصرها، وتفسر الكثيرَ من الفساد الذي اكتنفَ أركان الشؤون الإدارية، وما أشاع حالة من التهاون والاستخفاف بالمسؤولياتِ الإدارية في الحجاز. ويمكن العثور على تلك الانتقاداتِ في العديد من المواضع في مذكرتها، ومنها في الفصل السابع عشر، حينما تأمَّلت في سبب معاداة الشريف والباشا لها، فكتبَت قائلة: "كان الباشا والشريف يُضمِران لي في نفسيهما خلافَ ما يُظهِران نحوي من لُطفٍ واحترامٍ، وأظنُّ أنَّ لكُرههما لي سببيْن: أولهما: ما سمعاه كثيرًا من النواب فوجدار، ومن الهنود الذين طردهم الإنجليز، عن وفائي للحكومة الإنجليزية خلال الثورة العامة في عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٧م. وثانيهما: أني قلتُ ذات يوم، يُخصِّص السلطانُ العثمانيُّ ثلاثة ملايين روبية كلَّ سنة لإنفاقها في صيانة المشاعر المقدسة في الحرمين الشريفين، ولا يُرى أثر ذلك في النظافة، ولا في الخدماتِ والتسهيلاتِ الضرورية في نواحي المشاعر المقدسة، ولو منحني السلطان هذا المبلغ، لخوَّلتُ تدبير هذه الأمور إلى حكومة بهوپال، ولكلَّفتُ به ابنتي وزوجها، ولسوف ترون كيف أُحسِنُ تدبير الأمور، وكيف أضمن النظافة في هاتين المدينتين المقدستين، وكيف أتخذ الإجراءاتِ اللازمة لصيانة المشاعر المقدسة على أحسن وجه؛ ولعرف السلطانُ أنَّ الخونة من رجاله ينفقون هذه المبالغ الطائلة في غير ما يُخصِّصها له، وأنهم لم يُصلِحوا شيئًا من شؤون المدينتين، ولم يُرتِّبوا أمرًا واحدًا من أمورها، أما أنا فإنني لا أحتاج إلا بضعةَ أيام لإصلاح كافة شؤون هاتين المدينتين. لمّا تفوَّهتُ بتلك الملاحظة، كان أحدُ موظفي الباشا، جعفر أفندي موجودًا هناك، وكان ذلك في حضرة عددٍ من أهالي مكة، وأظنُّ أنَّ أحدَهم قد بلَّغ الشريف أو الباشا. ومما يدعم هذا الظنَّ، أنني في أثناء لقائي بالباشا ذات يوم لمستُ من أسلوب

٥١- المصدر السابق، ص ١٥٦-١٥٧.

حديثه معي أنه كان مغضبًا؛ لأنه قال حين خاطبَني: يأتي بعضُ الناس لأداء الحجّ مشبعين بروح الخضوع والتواضع، مطأطئين رؤوسَهم في ذُلٍّ وانكسار، في حين يأتي آخرون معاندين سيّئي النوايا، فماذا يستفيدون من حجّهم؟ ولقد تأكدتُ أنَّ ملاحظتي تلك أثارت حفيظة الباشا، ولكنه لو كان إنسانًا متحررًا في فكره، لقَدَّر ملاحظاتي وتعليقاتي وأشاد بها، واستوضح مني عن الإجراءاتِ التي كنتُ أرى لزوم اتخاذها لإصلاح الأمور، عوضًا من أنْ يغضب مني"(٥٢).

وفي الحقيقة، وجهَت بيگم تلك الانتقاداتِ اللاذعة، كما قدَّمت تلك المقترحاتِ العملية، بحكم تجاربها وخبراتها في إدارة شوؤن إمارتها، وإصلاحاتها الداخلية الناجحة، فقد اتخذَت بيگم عدة خطواتٍ لإصلاح النظام السياسيّ والعسكريّ والزراعيّ والتعليميّ والاقتصاديّ في الإمارة؛ فقضَت على النظام الإقطاعيِّ الذي تُستعبد به الرعية من قِبَل الجند والولاة والإقطاعيين، وأجرَت الرواتب على جميع موظفي الدولة، وحرصَت على تدريب جنودها على أحدث الأساليب الحربية، واستقدمَت الضباط الإنجليز لتدريبهم وتحديث ترسانة الإمارة، وعززَت دفاعيتها بالمدافع الحديثة، وحررَت الإمارة من جميع الديون المتراكمة عليها، وسنَّت قوانين جديدة في الاقتصاد والإدارة، وفتحَت محاكمَ في مختلف أرجاء الإمارة، وأنشأت مطابع، وفتحَت المدارس للبنين والبنات، واتخذَت خطواتٍ جريئة في تعليم المرأة وتثقيفها وترقيتها ورفاهيتها، وشيَّدَت طرقًا وجسورًا جديدة في طول الإمارة وعرضها(٥٣). ولا ريبَ أنَّ اتخاذ تلك الخطواتِ أدى إلى إحداث تغييراتٍ واسعة وملموسة في كافة مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والتعليمية والأمنية(٥٤).

ويمكن للمرء أنْ يرى أيضًا تماهي بيگم الحاكمة مع حركة الإصلاح الاجتماعيِّ الدينيِّ الإسلاميِّ التي اتبعتْها في سياق المدرسة الإصلاحية الدينية والاجتماعية في الهند، التي أسَّسها العالِم

٥٢- مذكرة سكندر بيگم، ص١٦٥-١٦٦.

٥٣- *سلطان جهاں بیگم*، تزك سلطاني (كانپور: مطبع نظامي، ١٣٢٨هـ) ص ١٣، ١٩، ٢٦.

54- Siobhan Lambert Hurley, **Contesting Seclusion: The Political Emergence of Muslim Women in Bhopal,** 1901-1930, PhD Thesis submitted at the School of Oriental and African Studies, University of London, May, 1998, pp. 72-73.

والمصلح الدينيُّ والاجتماعيُّ الشاه ولي الله الدهلوي (المتوفى ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م). ويتضح مدى ارتباطها بهذه المدرسة الفكرية والإصلاحية، من خلال محاولاتها في أثناء إقامتها في مكة، ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة التركية؛ لكي يتمكَّن الأتراكُ الذين لا يعرفون اللغة العربية من فهم معاني القرآن. فقد سارت على المنهج نفسه الذي اتخذه شاه ولي الله الدهلوي، حينما ترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية، ثم ترجم ابنُه الشاه عبدالقادر (المتوفى ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م) معاني القرآن إلى اللغة الأردية بعنوان "**موضح القرآن**". فقد حملَت بيگم على عاتقها مهمة القيام بذلك المشروع بموجب مشورة وزيرها المولوي جمال الدين، الذي كان قد درس مع أحفاد الشيخ شاه ولي الله الدهلوي في دهلي، وأخبرها أنَّ عالمًا في مكة، يُدعى الشيخ أحمد أفندي الداغستاني يستطيع إنجاز الترجمة، حيث إنه متضلّع من اللغتين العربية والتركية. غير أنَّ المثير للاهتمام، أنَّ الباشا منعها بالفعل من المُضيِّ قُدُمًا في هذا المشروع؛ على أساس أنه لا يجوز ترجمة القرآن الكريم نفسه، ولكن يُترجم تفسير القرآن فقط. ثم أضاف لها أنه توجد ترجمة لبعض التفاسير للقرآن، وأنَّ العلماء الذين يجيدون العربية يستطيعون قراءة تفسير القرآن الكريم بالعربية، وأمّا غيرهم من العامة فتوجد لهم تفاسير كثيرة باللغة التركية. غير أنَّ بيگم تجاهلَت نصيحته، ورأت أنَّ رأيه لا يتلاءم ومصلحة عامة الناس، فالتمسَت من الشيخ الداغستاني أنْ يترجم معاني كلام الله إلى اللغة التركية، وإرسال تلك الترجمة إليها(٥٥). وهكذا، حاولت بيگم أنْ يستمرّ الفكر الإصلاحيُّ المعرفيُّ والتربويُّ في الحجاز على منوال ما قامت به في إمارتها، حيث استقدمَت العلماء والشيوخ المتخصصين في العلوم الإسلامية من داخل الهند وخارجها؛ لتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية في المدارس، ولم تكتفِ بذلك، بل أحضرَت معها من مكة عددًا من العلماء العرب المشهود لهم بالعلم والمعرفة في علوم الحديث إلى بهوپال، وأسكنتْهم إياها(٥٦).

٥٥- مذكرة سكندر بيگم، ص ١٢٩-١٣٠.

٥٦- ومنهم على سبيل المثال المحدث حسين بن مُحْسِن الأنصاري اليماني المتوفى ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٨م الذي سكن مع أهله

ثالثاً: موقف بيگم من مباني مكة وجدة ومرفقاتها

من المدهش، أننا نجد أدقَّ التفاصيل في المذكرة عن الجوانب العمرانية، بما فيها فنّ العمارة وتصاميمها، وموادّ البناء والإنشاء في جدة ومكة، كما لفتَتْ بيگم الانتباهَ إلى النقص المتأصِّل في أدواتِ البناء والأمان. "تقع مدينة جدة على شاطئ البحر، وتتألف مبانيها من ستة أو سبعة طوابق. وأُسس المباني وجدرانها في جدة متينة قوية، فهي مبنيَّة من الحجر الملاط بالآجر، لكن أسقُفها وأسطُحها رديئة غير مُحكَمة؛ فتُسقف البيوتُ بجريد النخل فوق عوارض خشبية، ثم تُغطى بطبقة من الطين، وهذا لا يمنع تسرُّب المياه من تلك الأسقف، فلو وُضع فوق السقف إناء يقطُر منه الماء لتسرَّب إلى الغرفة تحته، ولو أُشعِلت فوقه نارٌ لطبخ الطعام مثلًا، لخُشي أن يؤدي ذلك إلى انتشار الحريق في جميع أرجاء البيت، وكثيرًا ما تنبتُ الأعشاب على مثل هذه الأسقف عقب هطول الأمطار"[٥٧].

ولأنه كان من المعتاد لدى الهنود في تلك الحقبة أنْ تكون الحمامات والمطابخ ومرافق الخدماتِ خارج البيوت؛ عبّرت بيگم عن دهشتها من وجودها في داخل البيوت في جدة ومكة "وتُبنى المطابخ والحمامات ومرافق الخدماتِ في داخل البيوت من الحجارة عادة، أما بقية أجزاء البيوت فتُبنى بالطين"[٥٨]. ووجدَت بيگم النظام نفسَه في تصميم البيوت في مكة، و"تصميم البيوت في مكة ليس مُحكمًا؛ لأنهم يجعلون غرف الجلوس وغرف النوم ملاصقة للمطابخ والمرافق العامة في البيت؛ فيدخل الدخان المنبعث من المطبخ إلى غرفة الجلوس ويزعج الجالسَ هناك، وعلى

وأولاده وأحفاده في بهوپال، فقد قُدِّر لآله وأولاده الاستقرار في شبه القارة الهنديَّة في خدمة العلوم الإسلاميَّة والعربيَّة. وقد نبغ من أبنائه وحفدته وحفدتهم أقطاب في علوم الحديث واللغة العربية وآدابها الذين أدوا دورًا مهمًا في ترويج اللغة العربيَّة وآدابها والثقافة الإسلاميَّة في الهند وپاكستان لقرن من الزمان. راجع تراجمهم في: يحيي خليل عرب الأنصاري، **گلزار يمن** (كراتشي، ٢٠٠١م) ص ١٧-٢٣، ٨٨-١١٢.

٥٧- **مذكرة سكندر بيگم**، ص ٧٠.

٥٨- المصدر السابق، ص ٧٠.

الرغم من تصميم البيوت السيئ هذا، فإنَّ أثاث غرفها من السجاد والأرائك فاخر رائع. وتُبنى البيوتُ في مكة على التلال، فتكسو التلالَ من أسفلها إلى أعلاها، وليس لتلك البيوت ساحاتٌ أو أفنية، بل تُبنى على هيئة الشقق والطوابق؛ لكي يمكن إضافة الطوابق إليها كلما اقتضَت الحاجة ذلك، ولا يقلُّ عدد طوابقها عن ثلاثة ولا يزيد عن سبعة، وقد تجد في بعض البيوت براويز للأبواب، وقد تجد قفلًا مع تلك البراويز، كما أنه قد تجد بعض البيوت بلا أبواب مع وجود تلك البراويز فيها". ثم عرّجت على وصف الأدواتِ المستعملة في بناء البيوت، "وأما أبوابُ البيوت، فلا تُستعمل فيها سلسلة أو مشبك أو قفل أو مزلاج أو مفصلة لإغلاقها، بل القفل عبارة عن قطعة خشبية على هيئة صليب كالذي يعلقه النصارى في أعناقهم. وهناك ردهاتٌ مفتوحة عند مداخل بيوت علية القوم من أهل مكة، حيث يجلسون فيها لتناول العشاء، ولا يسقفون تلك الردهاتِ لشدة الحرّ"(٥٩). كما أشارت إلى أجهزة الإنارة في البيوت "وأما الإنارة في الغرف فضعيفة؛ فالثرياتُ والمصابيح المعلقة على الجدران قليلة، وتكثُر الأواني المصنوعة من النحاس الأَصْفَر في بيوت أهل مكة(٦٠).

لقد دفعَها اهتمامها بتطوير البناء والإنشاء إلى الاستفسار من الناس في مكة عن أسعار موادّ البناء، وحصلَت على تلك المعلومات وسجلتها "اثنى عشر مكيالًا أو قفص واحد من الكلس، بأربعة قروش. وألف طوبة من الدرجة الأولى، بريالين وعشرة قروش، ومن الدرجة الثانية، بريال وخمسة قروش، ومن الدرجة الثالثة بريال. وألف حجر من الدرجة الأولى بأربعة ريالات، ومن الدرجة الثانية بريالين. ويتراوح سعر العوارض الخشبية ما بين روبية واحدة وثماني آنات (كانت الروبية الهندية تساوي ستة عشرة آنة) إلى روبية وأربع آنات وثلاث پايات للعارضة الواحدة. أما سعر خشب الأعمدة فيتراوح ما بين خمسة إلى ستة قروش للعمود الواحد. وتتراوح أجرة المهندسين

٥٩- مذكرة سكندر بيگم، ص ١٠٧-١٠٨.

٦٠- المصدر السابق، ص ١٠٦.

المعماريّين ما بين خمسة عشر قرشًا، إلى نصف ريال يوميًا، في حين يتقاضى العمال ثلاثة قروش نظير العمل داخل المدينة، وفي الطرق خارج مكة يتقاضون ثمانية قروش يوميًا"(٦١).

رابعاً: موقف بيگم من صفات أهل مكة الخَلقية والخُلقية وطرق معيشتهم ومعاملاتهم

خصَّصت بيگم بعض الفقراتِ المتفرقة لوصف صفاتِ أهل مكة وجدة الجسدية، وملامح وجوههم وقوة أجسامهم، كما سجَّلت انطباعاتِها عن الحياة التي يعيشها سكانُ البلد، وكيف كان طعامهم وشرابهم ولباسهم. "تختلف ألوانُ بشرة أهل مكة، ففاتح البشرة فيهم قليل، وفيهم الأصفر والحنطي والأسود وغيرهم. وأما ألوان شعورهم فالأسود نادر، والكثير من ألوان شعورهم باهت السواد قريب من الذهبي. ولا يعفي معظم أهل مكة لحاهم بل يقصّرونها"(٦٢). و"رؤوسهم وأكتافهم جميلة المظهر في الغالب، لكن بقية أعضاء أجسامهم ليسَت متناسقة، ويختلفون في أطوال قاماتهم، فبعضهم طويل نحيف، وبعضهم قصير سمين"(٦٣). ووصفَت قوة أجسام أهل مكة مع مقارنتها بالهنود "ورجالهم أقوياء مقارنةً بالهنود، فيستطيع الواحد منهم أنْ يحمل ما وزنُه نحو خمسين كيلو غرامًا، في حين لا يستطيع أيُّ هنديٍّ حمل ما يزيد عن نحو عشرين كيلو غرامًا، ويستطيع أهل مكة حمل هذا الوزن إلى سطوح المنازل دون الحاجة إلى أية مساعدة من أحد"(٦٤).

ولاحظَت أنَّ أهل مكة يستهلكون كمياتٍ هائلة من الطعام؛ دون الاهتمام بجودتها ومذاقها "أهل مكة نهِمون، يتناولون كمياتٍ كبيرة من الطعام تقارب خمسة أرطال أو ستة في اليوم، لكنهم لا يُلقون بالًا لجودة الطعام، وعاداتُ الأكل والحمية سيئة لديهم"(٦٥). وعن المواد الغذائية

٦١- المصدر السابق، ص١٠٨-١٠٩.

٦٢- المصدر السابق، ص١٧٠.

٦٣- المصدر السابق، ص١٦٩.

٦٤- المصدر السابق، ص١٦٩-١٧٠.

٦٥- المصدر السابق، ص١٦٩.

المستهلكة عند أهالي جدة ومكة وأهل البدو تقول: "وتعيش الطبقة الدنيا من المواطنين العرب في جدة على ألبان الإبل، فهو غذاؤهم الرئيس"[٦٦]. و"يستهلك أهلُ مكة اللحم والشاي والسمن كثيرًا، ويصنعون السمن من حليب البقر وحليب الأغنام"[٦٧]، في حين ذكرَت بيگم أنَّ البدو كانوا يأكلون طعامهم نيئًا، دون الإشارة إلى مصدر معلوماتها تلك "يأكل سكان الصحارى الذين يُطلق عليهم البدو، الأطعمة نيئة؛ لأنهم لا يعرفون طبخ الطعام، ويفضّلون العسل والتمر والسمن في غذائهم"[٦٨]. ولعلها أصدرت ذلك الحكم حينما رأتهم يجمعون الجراد في مكة ويأكلونها، "رأيت في طريقنا إلى العمرة أسرابًا من الجراد منتشرة على التلال في أعداد هائلة غطت الأماكن التي نزلت بها، وكان البدو يجمعونها في سلالهم؛ ليأكلوها"[٦٩]. تعجَّبت بيگم من عدم استعمال الملح عند أهالي مكة "لا يستعمل سكان هذا الجزء من العالَم الملحَ في طعامهم، غير أنهم يعدّون أنواعًا كثيرة من الحلويات، ويصنعون أصنافًا مختلفة من المخللاتِ. وتُصنع في جدة أنواع مختلفة من الحلويات الشهية، مثل المربيات والكعكات المحشوة بالفواكه... إلخ"[٧٠].

وفيما يتعلق بملابس العرب، سجّلت أنَّ "أهل الحاضرة يرتدون الملابس، أما أهل الوبر فيكتفون بارتداء الجلود والأجلة لتغطية أجسادهم، ويلبس بعضُ البدو قمصانًا طوالًا، ولا يحتزمون أو يتلبّبون ولا يغطّون رؤوسهم، إلا أنَّ بعضهم يضع على رأسه عقالًا من سعف النخيل أو ما يشبهه. وليس لأهل مكة زيٌّ خاصٌّ يتزيا به الجميع، بل يرتدي العرب وغيرهم ما اعتادوا على لبسه في بلادهم"[٧١]. ولاحظَت معيشة طبقة الأغنياء والأثرياء ومظاهرها، فكتبت قائلة: "أما

٦٦- المصدر السابق، ص ٧٢.

٦٧- المصدر السابق، ص ١١٠.

٦٨- المصدر السابق، ص ١١٤.

٦٩- المصدر السابق، ص ١١٠.

٧٠- المصدر السابق، ص ٧٤، ١١٥.

٧١- المصدر السابق، ص ١١٤، ١١٦.

الأثرياء العرب من سكان مكة وجدة، فهم يعيشون حياة ميسورة ومترفة، وتبدو عليهم آثار النعمة في مظاهرهم الجميلة الجذابة"(٧٢). كما أشارت إلى وسائل كسب المعاش والأرزاق عند أهل جدة قائلة: "في جدة ما بين أربعة آلاف وخمسة آلاف بيت قائم، ويقطنها العرب والترك والأفارقة. أما الأفارقة فيكسبون معاشهم من العمل في الميناء في زوارق نقل الركاب والبضائع، وتنزيل البضائع وتحميلها، وتنتعش سوقهم مع قدوم السفن وعند مغادرتها، أما العرب والأتراك فلهم متاجر ودكاكين، ويعملون سماسرة وجنودًا"(٧٣).

على أنَّ معظم جوانب الثقافة والمجتمع والبيئة العربية تثير لديها ردود فعل قاسية وحادَّة، فقد ذمَّت طبائعهم وصفاتهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم، فقالت: "وأما صفاتهم وطبائعهم؛ فيغلب عليها البخل وسرعة الغضب، وقسوة القلب، والحسد، ويكثر فيهم الخرقُ والحماقة"(٧٤). كما نعتَت أهالي جدة بقساوة القلب وحدة الطبع والطمع "ولا يتحلى أهالي جدة بخصال الشفقة والرأفة، بل تغلب عليهم صفاتُ الظلم والقسوة، ويرى كثيرٌ منهم أنَّ الاعتداء على الهنود عملٌ يستحقُّ التقدير والثناء، مثلما يفعل المبتدع حين يضطهد المؤمنَ ويَعدُّ ذلك من الحسناتِ، ولا يعدّون سلبَ ممتلكات الهنود أو الإساءة إليهم معصيةً أو جريمةً"(٧٥).

كما أنها نبّهَت في مواضع عديدة لشيوع الفساد والغشّ والرشاوى والبقشيش بين العامة والخاصة في جدة ومكة، "وتنتشر الرشوة بين حكام جدة وقُضاتها"، وبالغَت لدرجة تشبيههم ببعض القبائل الهمجية في الهند التي تتصف بالقسوة والعنف، ويكسبون معاشَهم من أعمال السلب والنهب والعنف"(٧٦)، ثم استطردت: "إنَّ الغشَّ والخداع فاش في أوساط الموظفين، وتعاطي

٧٢- المصدر السابق، ص ٧٢.

٧٣- المصدر السابق، ص ٧٣.

٧٤- المصدر السابق، ص ١٧٠.

٧٥- المصدر السابق، ص ٧١.

٧٦- المصدر السابق، ص ٧٢.

العمولة شائعٌ في مكة شيوعًا فاحشًا بين جميع الطبقات [٧٧] "، ويشيع الخداع والكذب في مكة شيوعًا واسعًا"[٧٨]. ووصفَت عمال مكة بأنهم "لا يؤدّون أعمالهم كما يجب على الرغم من تسليمهم كامل الأجرة، ويطالبون دائمًا بأجرتهم قبل انتهاء عملهم"[٧٩]. غير أنها لم تجد أيَّ غضاضة في عقد مقارنة ما بين طبائع العرب والهنود فيما يتعلق بنمط العلاقاتِ الاجتماعية القائمة على المصالح الشخصية، وخلصَت إلى أنه "لا تختلف آدابُ اللقاء والزيارة في مكة عن آدابها في الهند، فمثل الهنود معظم سكان مكة؛ لا يزورون بعضهم بعضًا إلا لمصالح شخصية؛ فأثرياؤهم لا يتزاورون إلا بحثًا عن مكاسب مالية، وتكاد تنعدم مشاعر الإخلاص والمحبة بينهم"[٨٠].

وعند شرح عملية البيع والشراء في كلٍّ من جدة ومكة، وقفت بيگم على عدد من السلوكيات المناهضة للقيم والأخلاق في المعاملاتِ التجارية "وأما معاملاتُ البيع والشراء عندهم في جدة فتجري على هذا المنوال، إنْ أعجب أحد من الحجاج والزوار ببضاعة معروفة للبيع، وسأل البائع عنها، فإنَّ البائع لا يتوانى في أنْ يضعها في يده ويطالبه بقيمتها، ومهما احتجَّ ذلك الشخص بأنه كان يتفحص البضاعة، ولم يقرر بعد شراءها، فسيذهب احتجاجُه أدراجَ الرياح، ولو جرُؤ أحدهم فاشتط في حجاجه، فإنَّ البائع يبصق في وجهه ويشتمه، ويتآمر الباعة والتجار ضد المشتري بمساعدة بعضهم بعضًا في مثل تلك المعاملاتِ"[٨١]. والوصف نفسه تُطلقه على المعاملاتِ التجارية في مكة "تباع البضائع في مكة على الطريقة الآتية: إنْ كان سعر شيء روبية، وطلبه المشتري من البائع بنصف سعره، فإنَّ البائع يحثو التراب على المشتري، ويبصق في وجهه. ومن عاداتهم أنْ يطلب البائع

٧٧- المصدر السابق، ص ١١٢.

٧٨- المصدر السابق، ص ١١٦.

٧٩- المصدر السابق، ص ١١٢-١١٣.

٨٠- المصدر السابق، ص ١١١.

٨١- المصدر السابق، ص ٧٢.

سعر البضاعة وقت بيعها نقدًا، ولا يمكن أنْ تثق بأحد ولو للحظة واحدة أبدًا[٨٢]. على أنه ليس من العدل ولا يصح تعميم الحكم على جميع التجار وأهل المتاجر. وفيما يتعلق بأسعار السلع والبضائع في أسواق مكة فكتبَت بأنها "ليست محددة، فيحدد كلُّ بائع أسعار بضائعه بنفسه، ويحرص على أنْ يحصل على أعلى سعر ممكن" [٨٣].

وانزعجَت بيگم انزعاجًا شديدًا من استغلال المؤجِّرين والملّاك للمستأجرين عند إيجار منازلهم المؤقت للحجاج، فكتبت "ولما انتقلتُ إلى المشاعر في عرفات، استأجرتُ في المرحلة الأولى من السفر في مِنى ثلاثة مبانٍ لأقيم فيها ثلاثة أيام، ولما حان وقت دفع إيجارها، وجدتُّهم يطالبونني بدفع إيجار سنة كاملة؛ لأنَّ النظام الشائع هنا دفع إيجار سنة عن البيت، وإنْ لم يُقِم المستأجر فيه غير يوم واحد!"[٨٤].

خامساً: موقف بيگم من طقس مكة وخيراتها الطبيعية وثرواتها الحيوانية

وكذلك أفردَت بيگم صفحاتٍ عديدة لتدوين ما شاهدتْه من خيراتِ مكة وحاصلاتها وبعض معالمها، حيث تطرَّقَت إلى طائفة من الموضوعات المتشعبة؛ من الحيوانات والطيور والحشرات والثمار والخضروات، إلى الطقس وطواحين الهواء... إلخ. وفي هذه المواضيع أطلقَت حُكمها بحرية أكبر؛ مما يعطي نظرة ثاقبة لواقعها الاقتصاديّ آنذاك. ويتضح منها أيضًا وجود عدة مظاهر وملامح معينة أعجبَت بها بيگم، فكتبت مثلًا عن تربية الحيوانات عند أهل مكة بأنهم يربون الإبل على نطاق واسع، وأما البقر والعجول والماعز والأغنام فمتوافرة فيها. ولا وجود للجواميس في مكة، وخيولها نجيبة وغالية. والحمير والبغال والكلاب والقطط والذباب والبوم والبعوض وغيرها كثيرة في مكة"[٨٥]. "وتتميز حمير هذه البلاد بسرعة سيرها والهدوء في وقع خطاها. وتُعلَف الحمير الفول؛

٨٢- المصدر السابق، ١١٢، ١١٤-١١٥.

٨٣- المصدر السابق، ص ١١٦.

٨٤- المصدر السابق، ص ١٠٣.

٨٥- المصدر السابق، ص ١٠٩-١١٠.

لنقص العلف، ولا تُسقى إلا مرة واحدة في اليوم، وقد يصل سعر البغلة الكبيرة الضخمة لمئتي روبية أو مئتين وخسمين روبية، ونهيق تلك البغال عالٍ كنهيق الحمير، وعلفُها مثل علف الحمير، ولكنها قد تحصل على علف أخضر وشيء من الحبوب إنْ توافر ذلك"(٨٦). وعن الزراعة كتبت:"وتُزرع الخضار في بعض الأماكن في مكة، وينبت فيها البطيخ والخروع، ولا تنبت فيها أنواع الخيار واليقطين التي تنبت في الهند. وتتوافر الثمار والخضار في مكة في كلِّ موسم من مواسم السَّنة، ويصل معظمها إلى مكة من الطائف، وهي أكثرُ جودةً وحلاوةً من الثمار التي تنبت في الهند" (٨٧).

وعالجَت بيگم موضوع الماء والحمامات العامة بجدة ومكة، في مقالاتٍ عديدة ومتفرقة "والماء الصالح للشرب عزيزُ الوجود في جدة، فيضطر السكان إلى جلبه من مخازن للمياه تبعد ميلًا ونصف الميل عن جدة، وهي حُفر وأخاديد تبلغ ما بين الخمسمائة إلى الألف، تجتمع فيها مياهُ الأمطار الحلوة فيستعملونها للشرب سَنة أو سنتين، ثم إذا ما أَسِنَت وأصبحت أُجاجًا ردموها، وحفروا بدلًا منها حفرًا وآبارًا جديدة"(٨٨). وكذلك شرحَت كيفية استخراج المياه في مكة "استُخرج الماء القراح من بعض آبار مكة العميقة، وأما الآبار السطحية، فقد تُخرِج ماء مالحًا، وقد تجد في بعضها ماءً عذبًا"(٨٩). ثم تطرقت لموارد المياه في مكة وضواحيها، فكتبت: "لا وجود لبحيراتٍ أو أنهار أو جداول في ضواحي مكة، ولكن هنالك ينابيع قليلة يستحمُّ فيها المسافرون بأجرة يتسلمها جنود الشريف والباشا. وأما الفقراء والمساكين فلا حظَّ لهم فيها، فإنْ حاولوا أنْ يرِدُوها فإنَّ الضرب والطرد عقابهم. وتباع قِربة واحدة من الماء في مكة بنصف قرش، في حين يستطيع الرؤساء والنبلاء والعلية من سكان مكة الحصول على ما يحتاجون إليه من الماء مجانًا. وقد سُمح لي أيضًا بالحصول على ما أحتاج إليه من الماء، وتوجد في مكة حماماتٌ كبيرة فخمة لكلٍّ من

٨٦- المصدر السابق، ص ٧٧-٧٨.

٨٧- المصدر السابق، ص ١٦٨.

٨٨- المصدر السابق، ص ٧٣-٧٤.

٨٩- المصدر السابق، ص ١٦٨.

الرجال والنساء على حدة"(٩٠).

وعن طقس مكة ومناخها، علَّقت: "إنَّ أرض مدينة مكة موحشة كئيبة، غبراء مقفرة. ومناخها بارد بعض الأحيان، شديد الحر أحيانًا أخرى. ترتفع درجة حرارتها قبل طلوع الشمس بساعة مثل ارتفاع الحرارة في ساعاتِ النهار، غير أنَّ لياليها رائعة لطيفة هادئة صحية، وضوء القمر جميل؛ لخلوّ جوِّها من الرطوبة، وخلوّ سمائها من الغيوم، وصفاء أُفُقها وخلوّه من الملوثاتِ"(٩١). في حين أشارت إلى أنَّ "هواء مكة ليس نقيًا، وأظن أنه كان نقيًا لكن أهلها أفسدوه؛ بإهمالهم وغبائهم، فلم يعملوا على إزالة الأتربة والغبار من أرجائها حتى تراكم التلوثُ في نواحيها"(٩٢). وقد أثارت بعضُ الأشياء فضولها، فكتبَت مثلًا عن طواحين الهواء أنه "أقيم خارج أسوار جدة نحو عشرين أو خمس وعشرين طاحونة هواء، تلوح في الأفق كأنها معاقل أو منارات، وقد رُكِّبَت مراوح خشبية في فتحة في جنب كلِّ طاحونة، يحركها الهواءُ القادم من جهة البحر، تُطحن فيها الذُّرة، غير أنَّ هذه الطواحين معطَّلة في هذه الأيام؛ ولذلك يستعمل أهالي جدة الإبل والخيل لطحن الذرة"(٩٣). وحينما زارت جبل النور لفتَ نظرَها كثرة الحصى صغيرة الحجم ذات الألوان المختلفة؛ منها الحمراء والخضراء والذهبية، ويقال: إنَّ الحجاج القادمين من جاوة يستخرجون الذهب من تلك الحصى"(٩٤).

سادساً: موقف بيگم من بعض العادات والتقاليد وقضايا المجتمع المكي

ركزَت بيگم أيضًا على دراسة بعض الجوانب الاجتماعية والثقافية وفقًا للمنهج الإثنوغرافي. ولعلها فعلَت ذلك بموجب طلب المقيم الذي كتب في رسالته إلى بيگم أنه " يتلهف إلى سماع انطباعاتها عن

٩٠- المصدر السابق، ص ١٠٥-١٠٦.

٩١- المصدر السابق، ص ١٦٧.

٩٢- المصدر السابق، ص ١٦٨.

٩٣- المصدر السابق، ص ٧٣.

٩٤- المصدر السابق، ص ١١٦.

أحوال العرب عامة، وعن مكة خاصة"(٩٥). وفي الواقع خصَّصت بيگم فصلًا خاصًا لا يبدو في غير محلّه في كتاب عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية. تأملوا، على سبيل المثال، الفقرات المطولة في الفصل الرابع عشر الذي وصفَت فيه بيگم زيارتها لمنزل نساء شريف مكة، حيث سجَّلت ملاحظاتها الدقيقة عن كيفية استقبالها عند وصولها إلى منزل الشريف، وطرق التحياتِ المتقنة التي بلغَت ذروتها عند المقابلة "ولما قابلتْني أزواج الشريف، صافحنَني واحدة تلو الأخرى، ثم قبلنَني على صفحتي وجهي وعنقي، ثم طبعنَ قبلة خفيفة على شفتيّ، وكذلك فعلَت والدة الشريف"(٩٦). و"من تقاليد هذا البلد أنْ يعانق الرجال بعضهم بعضًا في الزياراتِ واللقاءاتِ، وكذلك الأمر مع النساء"(٩٧).

ثم سجَّلت ملاحظاتها الدقيقة حول جَمال أزواج الشريف وأزيائهنَّ، "للشريف سبع أزواج (لعلها قصدَت أزواجه وجواريه) قابلتُ أربعًا منهنَّ؛ اثنتان جورجيتان في غاية الحُسن والجَمال، ارتدَت كلٌّ منهما أثوابًا رائعة أنيقة، فبدتا كأنهما مرصعتان بالألماس من قمة الرأس إلى أخمص القدمين، وكانتا تضعان على رأسيهما أكاليل مرصَّعة بالجواهر، تتلألأ بجاذبية رائعة كلما تحركتا، وكانت تحت تلك الأكاليل مناديل صغيرة جميلة، مثل المناديل التي تحملها الإنجليزيات في أيديهنَّ، والمناديل مطرّزة بالجواهر، معقودة على الرأس في جَمال أخّاذ، وثيابهما مزخرفة بالجواهر من العنق إلى الخصر، وجملة القول إنهما كانتا آيتيْن من آياتِ الحُسن والجَمال والرشاقة واعتدال القوام، وكانت ثياب إحداهما من الحرير الأسود، وثياب الأخرى من الحرير الأقحواني، وجميع الثياب مطرّزة بالنجوم. أما زوجته الثالثة فكانت عربية ذات ملامح عادية، في حين كانت زوجته الرابعة حبشية، ولا يُسمح لأزواج الشريف بالجلوس في حضرته إلا مَن كانت منهن أمَّ ولد، أما اللائي لم يلِدْنَ بعد، فعليهنَّ الوقوف بجانبه عاقداتٍ أيديهنَّ في احترام ووقار(٩٨). ثم تطرَّقت إلى الآداب

٩٥- المصدر السابق، ص ٣٨.

٩٦- المصدر السابق، ص ١٤٤.

٩٧- المصدر السابق، ص ١٤٨.

٩٨- المصدر السابق، ص ١٤٥-١٤٦.

والتشريفاتِ الخاصة بتقبيل يد الشريف، فكتبَت أنَّ من تقاليد هذه البلاد أنْ يُقبِّل يدَ الشريف كلُّ مَن يزوره من الأعيان والنبلاء، وأما من دُونهم فيُقبِّلون طرفَ ثيابه، وأما مَن هم أقل من هؤلاء شأنًا، مثل الخدم، فيُقبِّلون كُرسيّه، والبدو التابعون له، وأبناء قبيلته، يُقبِّلون يده، والمشاة في جنوده يُقبِّلون كتفه"(٩٩).

تناولت بيگم أيضًا موضوع العبيد من شتى جوانبه؛ مثل كيفية بيعهم وشرائهم في أسواق مكة، ووضعهم الاجتماعيّ والأعمال التي يقومون بها، فكتبَت قائلة: "سوق النخاسة عامرة في مكة، والمعروضُ من الرجال والنساء من مختلف الجنسياتِ كثيرٌ، ويكثر في السوق الرقيق الأفارقة، يُجمَعون في "دكة" في السوق ويُعرَضون للبيع، فيختار النخاسون من يعجبهم منهم، ويأخذونهم بعد دفْع أثمانهم وتَسَلُّم الصكوك من الباعة. ويباع في هذه السوق عبيدٌ وجوارٍ من جورجيا، يأتون إلى مكة في قوافل الحج، فيشتريهم أهلُ مكة ويبيعونهم للحاج، ويستمرُّ هذا السوق يومين كلَّ سَنة على هذا المنوال، ويتزوج سكانُ مكة بعضًا من هذه الجواري، ويطلّقونهنَّ فيما بعد إن أرادوا بيعهنَّ، لكنهم يرسلونهنَّ إلى بيت المشتري مباشرةً دون عرضهنَّ على الدكة في سوق النخاسة، بعد أنْ يتسلَّموا صكوكًا بقيمتهنَّ. وليس من المعتاد أنْ تتزوج الجارية إلا في أول بيعة لها، ولا يُسمح لهنَّ بالجلوس في حضرة أسيادهنَّ احترامًا لهم، غير أنَّ مَن أنجبت منهنَّ يُسمح لها بالجلوس أمام سيدها، وهذه هي التقاليد الشائعة في أوساط أهل الطبقة العليا"(١٠٠).

وعن الأعمال والنشاطاتِ التي كان أولئك العبيد والجواري يقومون بها خلال موسم الحج، وفي الأيام العادية، كتبت: "ويشتري الشرفاء والنبلاء الرقيقَ الأفارقة والجورجيين، ويرسلونهم إلى المشاعر المقدسة، للخدمة هناك، فيزاولون أعمالًا مختلفة من التنظيف والكنس وإنارة المصابيح وما إلى ذلك من الأعمال التي تحتاجها المشاعر. ويحصل بعض أولئك العبيد على مؤونة

٩٩- المصدر السابق، ص١٤٨.

١٠٠- المصدر السابق، ص١١٩-١٢٠.

سَنة من القوت والأشياء الضرورية الأخرى في وقت مُحدَّد، وأما مَن هم دون أولئك السكان مكانةً وثراءً، فيستخدمون عبيدَهم لأعمالهم الخاصة، ويستبدلون بهم آخرين مرة كلَّ سنة، كما يستبدل المرء جديدًا بقديمه، غير أنهم لا يبيعون الجواري اللاتي قد أنجبنَ منهم. والأمر كذلك فيما يتعلق بالعبيد الأفارقة، فيشتريهم أهلُ الطبقاتِ الدنيا، ويستعملونهم في مزاولة الأعمال الوضعية في بيوتهم؛ من مثل كنس البيوت، وإنارة المصابيح، وغسل الملابس، وجلب المياه، وحمل الأثقال، وتقديم الطعام، ونقل البضائع من دكان إلى آخر، ويعطونهم مقابل ذلك ملابس تكفيهم لسَنة، وطعامًا مرتين كلَّ يوم. وقد يسمح بعضُ سكان مكة لجواريهم بالخروج لمزاولة بعض الأعمال اليومية، ولكنهم يأخذون منهنَّ أجرةَ ذلك اليوم. ويباع العبيد السيئ فورًا، ولكن معظم هؤلاء العبيد أوفياء مخلصون؛ فإنهم يعملون في جلب المياه طوال اليوم، ثم يُسلِّمون ما كسبوه إلى سيدهم ليحصلوا منه على رغيفين اثنين من الخبز لقاء ما عملوه"[١٠١]. وملاحظاتها تلك حظيَت بأهمية كبيرة لاحقًا، لدرجة أنَّ المسؤول الاستعماري رفيع المستوى والمستشرق السير وليم موير (المتوفى ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٥م)، في الطبعة الثانية ١٨٧٧م من كتابه المشهور **حياة محمد** اتخذها دليلًا دامغًا لإثبات أنَّ ظاهرة الرقّ واتخاذ السراري والمحظيات ظلت شائعة بين المسلمين بعد العصر النبويّ، ولم يتنازل المسلمون عن ممارسة تلك الظاهرة، أو قاموا إلغائها قَطّ عن طيب خاطر[١٠٢].

وكذلك نجد في مذكراتها أصداءً للصور النمطية الأوربية عن العرب، فكتبَت عن مسألة التسول في مكة، "سكان مكة أثرياء موسرون، لكنهم على الرغم من ذلك، يتصفون بصفات البخل والنَّهم، ولا يستنكفون عن التسول؛ سواء أكانوا من الطبقة العليا أمْ الطبقة الدنيا، وسواء أكانوا شيوخًا أمْ شبانًا، ذكورًا أمْ إناثًا، صغارًا أمْ كبارًا؛ فكلهم شحاذون مع تفاوُت درجاتِ التسوُّل بينهم، ولا يرضون بما تعطيهم مهما كان. ويبدو لي أنَّ التسول والاستجداء لا يقلُّ احترامًا وقبولًا

١٠١- مذكرة سكندر بيگم، ص ١٢٠-١٢١.

102- Sir William Muir, **The Life of Mahomet and History of Islam, to the Era of the Hegira**, 2nd ed., abridged (London: Smith, Elder and Co., 1877), Vol.3, p. 347.

عن التكسب بالعمل في نظر أهل مكة؛ فنبلاؤهم وشرفاؤهم ومَن دونهم من عامة الناس يحيطون بالحجيج عند رحيلهم من مكة، ويطالبونهم بالبقشيش بعنف وشدة وعناد"(١٠٣).

ولم تكن النساء العربياتُ، على وجه الخصوص، بمنأى عن انتقاداتها وغيظها، فقد قالت بيگم "إنَّ أصواتِ نساء مكة خشنة شديدة الخشونة، وهُنَّ أقوى من رجالهنَّ، بدن ضخام صاخبات" (١٠٤). وأعربَت عن عدم إعجابها عن عاداتهنَّ في الغناء والرقص في حفلاتِ الزفاف، وعلَّقَت على ذلك: "الغناء والرقص ممنوعان في مكة، غير أنَّ نساءها يزغردنَ ويصفقنَ بأيديهنَّ، ويفرقعنَ أصابعهنَّ، ويغنينَ أغانيَ هزلية، ويرقصنَ في حفلاتِ الزواج، ولكنهنَّ لا يُجِدْنَ الغناءَ ولا الرقص حقًّا؛ فلا يطرب مَن يستمع إليهنَّ، ولا يستمتع مَن يشاهد رقصهنَّ". متابعة ذلك مع التعليق الساخر بأنَّ بعض هواة الموسيقى من هذا النوع في الهند يمارسونها خلسةً في منازلهم(١٠٥).

تشير هذه الملاحظاتُ إلى أنَّ النساء العربياتِ لم يُلبينَ توقعاتِ بيگم المتواضعة والليونة المطلوبة من الجنس الناعم كما كانت متجذّرة في القيم الأبوية الهندية، والمتسمة بالمفاهيم المتعلقة بالعاداتِ والتقاليد الاجتماعية للأسرة، على الرغم من أنه يجب على المرء أنْ يتذكر أنَّ هذه الانتقاداتِ دُوِّنَت بقلم المرأة الحاكمة التي شاركَت في صغرها في معركة على ظهور الخيل ضد زوجها. وتعكس هذه الخلفية كلام بيگم الأكثر شراسة وانتقادية موجهًا إلى عادة المرأة المكية في كثرة الزواج، فكتبَت في هذا الصدد قائلة: "وتتزوج النساءُ في مكة مرارًا، فتتزوج بعضهنَّ عشر مراتٍ، واللاتي لا يتزوجنَ لأكثر من مرتين عددُهنَّ قليل، فعندما يشيخ الزوج، أو تعجب الزوجة بشخص آخر، فإنها تذهب إلى الشريف، وبعد موافقته تفتدي نفسها من زوجها، وتقترن بشخص آخر؛ إما لكونه أصغر سنًا من زوجها، وإما لكونه أكثرَ وسامةً وجمالًا، أو أكثرَ ثراء منه، ولا يدوم مثل هذا

١٠٣- المصدر السابق، ص ١١٢-١١٣.

١٠٤- المصدر السابق، ص ١٦٩.

١٠٥- المصدر السابق، ص ١١٠.

الزواج لأكثر من عام أو عامين في العادة"[١٠٦]. ولعلَّ من المناسب أنْ نشير هنا إلى أنه لم يكن، ولا يزال من غير المقبول اجتماعيًا أنْ تتزوج المرأة في الهند بعد طلاقها أو ترمُّلها، فليس الطلاق وزواج الأرملة من الممارساتِ المقبولة عند المسلمين الهنود، رغم أنَّ ذلك مباحٌ في القرآن والسُّنَّة. ومن ثَم، أبدَت بيگم استغرابها الشديد من تلك الظاهرة.

ومن السماتِ والمظاهر الأخرى للمجتمع العربيّ التي حظيَت باهتمام خاصٍّ من بيگم، تلك التي تتعلق بأعمال النظافة والنظام الصحي وترتيباتها. فعند وصولها إلى جدة، على سبيل المثال، كانت الملاحظة الأولى التي أبدتها هي "أنه على الرغم من أنها تلوح في مظهرها مهيبة لمن يراها من البحر، يجدها الداخل إليها في حال مزرية؛ فشوارعها قذرة عشوائية، وليس فيها مجار للصرف الصحي، ومبانيها رديئة الإنشاء والتخطيط"[١٠٧]. وقد أوردَت هذه المسألة مرارًا وتكرارًا فيما يتعلق بمكة، فكتبت مثلًا: "النظافة في مكة لا تختلف كثيرًا عما ذكرتُه من حال جدة؛ فالشوارع قذرة، وليس فيها مجار للصرف الصحيّ، وقد تكون واسعةً في بعض الأماكن، وضيقة في أماكن أخرى"[١٠٨]. ولعلَّ من المناسب، أنْ أشير هنا إلى أنه فيما يتعلق بملاحظات بيگم حول عدم وجود نظام الصرف الصحي في بيوت مكة وجدة، فإنَّ المترجمة إيما لورا ويلوبي أوسبرن لم تترجم التفاصيل الموجودة عنها في النسخة الخطية للمذكرة، فقد وصفَت بيگم ذلك الأمر في نحو صفحتين، وأعربَت عن استغرابها من عدم وجود مجارٍ لتصريف المخلفات والقاذورات إلى خارج جدة ومكة، وكتبت أنَّ أهل هذه البلاد يحفرون في أرض كلِّ منزل حفرة تُجمع الفضلات فيها، ثم يأتون بعمال كلَّ سنة وسنتين الذين يستخرجون تلك الفضلات ويعدمونها في حفر أخرى يصنعونها في الشوارع المتصلة بالمنازل، وعند بناء منزل جديد يحفرون تلك الحفر ويستعملون سماد تلك الفضلات في البناء، حيث

١٠٦- المصدر السابق، ص ١١٣.

١٠٧- المصدر السابق، ص ٦٩.

١٠٨- المصدر السابق، ص ١٠٩.

يخلطونها مع مواد البناء من مثل: الكلس والنورة والطين ويضعون على الطوب والأحجار، وهو الأمر الذي يؤدي إلى انبعاث الروائح الكريهة العفنة في جميع المنازل[١٠٩].

وأشارت إلى "أنَّ الأتراك على وجه الخصوص قذرون جدًا، وعاداتهم سيئة، وتتسم حياتُهم بالإهمال وعدم الاهتمام، ولست أعرف هل يهتمون بالنظافة والأناقة حين يرتدون أزياءهم الرسمية أثناء تدريباتهم، لكنهم في غاية القذارة والإهمال في ألبستهم داخل بيوتهم"[١١٠]. ومن المثير للاهتمام أنها ربطَت هذا النقص والإهمال في النظافة بالقيم الدينية الإسلامية في فقرة دوَّنَت فيها محادثة جرَت بينها وبين سليمان بك ابن الباشا، حيث قالت له: "إنَّ من أهم واجباتنا الدينية أنْ نؤدي خمسة واجباتٍ قبل الشروع في الصلاة؛ وهي: طهارة ملابسنا، وطهارة أجسامنا، وطهارة المكان الذي نُصلي فيه، وطهارة الماء الذي نتوضأ به، والالتزام بالأوقاتِ المحدَّدة لأداء الصلواتِ، لكن سكان مكة يُصلّون في ملابس متسخة للغاية، فما السبب في ذلك؟ فردَّ عليه سليمان بك قائلًا: تأتي قوافل الحجاج إلى مكة من كلِّ حدب وصوب، وأكثرهم فقراء معدمون لا يقدِرون على شراء الملابس الجديدة، فيلبسون ملابسَ رثة قذرة، وليس في وسع الباشا أنْ يكسوهم جميعًا. فردَّت عليه بيگم: ليس من الضروريِّ أنْ يكسوهم، بل عليه أنْ يختار لهم وسائل أفضل من أجل راحتهم؛ مثل توظيف عدد كبير من العمال لتنظيف ملابسهم، وتخفيض أسعار غسيل الملابس، وعليه أنْ يُصدِر تعليماتٍ صارمة لجميع خدمه بأنْ لا يلبس أحدٌ منهم ملابس قذرة، وعليه أنْ يوجه رعيته توجيهًا سديدًا، وأنْ يفرض عليهم الاهتمام بالنظافة؛ لأنهم لو وُجِّهوا توجيهًا سليمًا، وتدرَّبوا على اختيار وسائل الراحة والنظافة وفق طريقة دقيقة، فسيتعوَّدون على ممارستها بأنفسهم، وسيربون أولادهم على الالتزام بها" [١١١]. وفي موضع آخر، وجَّهَت سهام الانتقاد إلى الإدارة التركية فيما يتعلق بانتشار

١٠٩- راجع سكندر بيگم، **تاريخ سفر مكة**، مخطوط محفوظ ضمن أوراق دوراند الخاصة، رقم المخطوط ٥٥ (مكتبة كلية الدراسات الشرقية والإفريقية التابعة لجامعة لندن) الأوراق ٢١-٢٢.

١١٠- **مذكرة سكندر بيگم**، ص١٠٩.

١١١- المصدر السابق، ص١٣٥-١٣٦.

الأوساخ في مكة "ومما يساعد على انتشار الأوساخ والقاذوراتِ فيها ما تسوقه قوافل الحجيج من الأعداد الضخمة من الجِمال والمعز والأغنام التي تُنحر في موسم الحج، دون أنْ تتخذ الإجراءاتِ اللازمة لإزالة فضلاتِ تلك الذبائح"(١١٢).

لا يعكس هذا البيانُ فقط صورة بيگم المتوقعة عن نفسها؛ بصفتها حاكمة ومصلحة إدارية، ولكن أيضًا الطريقة التي تشكَّلَت بها مشاركتُها في الخطاب الاستعماريِّ حول الصرف الصحيِّ من خلال المفاهيم الصحية المركزية لأنظمة المعرفة الأصلية في العالَم الإسلاميِّ. وكان بيانها مدعومًا أيضًا بمعرفتها بأهمية النظافة وتدابيرها لوقاية الجسم من التعرض للأمراض المختلفة التي تؤثر سلبًا في حياة الفرد والمجتمع؛ وذلك بفضل انتشار الكتاباتِ الطبية باللغاتِ الأردية والإنجليزية في الهند منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، (١١٣) والتي مزجَت فيها المبادئ الإسلامية المتعلقة بالطهارة وبالنظام الصحي، بدلالاتها الطبية الغربية(١١٤).

ومما يتبيَّن أيضًا من ملاحظاتها، تلك الطريقة التي أدَّت بها رحلة بيگم للحج إلى تغيُّر الصورة التقليدية المتوارثة عن شبه الجزيرة العربية؛ نظرًا لقربها من الفضاء المقدس في مكة، بأنه موضع يحيطه أكبر قدْر من القداسة؛ ومن ثم يُنظر إليه بأنه المرجعية الدينية باعتباره مركزًا

١١٢- المصدر السابق، ص ١٦٩.

113- Guy Attewell, '**Authority, Knowledge and Practice in Unani Tibb in India,** c. 1890-1930' (Unpublished PhD Thesis, University of London, 2004), ch. 5.

١١٤- وُضعَت كتب عديدة في رعاية بيگمات بهوپال وإشرافهن في أحوال الصحة العامة والخاصة، وكيفية الوقاية من الأمراض وأسباب الأمراض وطرق علاجها وطرق التعامل مع المرضى، بما في ذلك تلك الكتب التي وضعَت خصيصًا للنساء للإرشادات المنزلية من أجل معرفتهنَّ كيفية الوقاية من الأمراض، وتحتوي أيضًا على الموضوعات التربوية والأخلاقية. وكانت سلطان جهان بيگم، حفيدة سكندر بيگم، نفسها قد ألَّفَت كتبًا عديدة في مجال الطب والتربية ومنها **حفظان صحت، وتندرستي** أيْ الصحة، و**تربية الأطفال**، و**فرائض النساء وهدايات تيمارداري** أيْ إرشادات التعامل المرضى وغيرها. لمزيد من المعلومات عن نشاطاتها العلمية والتربوية، راجع: محمد أمين زبيري، **حيات سلطاني**، ص ٥٧-٦٨، ٦٩-٨٨، ٢٦١-٣٠٠؛ محمد حسين صديقي، ***هندوستان كي بيس بڑي خواتين*** (كراتشي: دار زمزمه، ٢٠٠٣م) ص ١٧٩.

للممارساتِ الإسلامية الصحيحة. ولذلك، يتمنى مسلمو القارة الهندية وجنوب آسيا أنْ تكون هذه الأرض أرضًا مثالية لا نظير لها، وأنْ يصبح سكانُها مثاليين لا مثيلَ لهم على وجه الأرض.

ووفقًا لما كتبته؛ لم يقتصر الأمرُ على تجاهُل سكان هذه المنطقة للقوانين الإسلامية المتعلقة بالنظافة والطهارة فحسب، بل إنَّ بعضهم يشربون الخمر وغيره من المشروباتِ الكحولية المسكِرة التي يُحرِّمها القرآنُ الكريم والسُّنَّة النبوية. فقد صدمَها أنَّ "الخمر تباع في مكة خفية، ويشربها الأتراك والهنود"(١١٥). والشيء نفسه رصدتْه بعد وصولها إلى جدة "وشرب النبيذ وغيرها من المسكِراتِ شائع في جدة بين الأتراك وغيرهم"(١١٦). كما عبَّرت عن خيبة أملها فيما يتعلق بمستوى اللغة العربية المنطوقة في مكة، فكتبَت "واللغة العربية هي لغتهم الأمّ، لكنهم يستعملون العامية العربية، ولا يتكلم بالفصحى إلا القليلُ منهم، بل تكاد تنعدم في أوساط الحاضرة، في حين يتكلم أهل البادية باللغة العربية الصحيحة" (١١٧). على أنه ليس من الواضح كيف حكمَت على ذلك في ضوء جهلها المعلن باللغة العربية. وبصرف النظر عن ذلك، فقد قادتها ملاحظاتُها إلى استنتاج خطير، ومفاده أنه "بينما يعرف أهل الحضر في مكة بعض تعاليم الإسلام، فإنَّ سكان الجبال في ضواحيها يجهلونها تمامًا"(١١٨). ولعلَّ هذه الأحكام الجازمة والجزافية أطلقتْها بيگم بموجب اعتقادها بأنه لا توجد في مكة مؤسساتٌ تعليمية، حينما شاهدَت بعض الأطفال يلعبون في الشوارع في شغب وسوء هندام، فاستنتجَت من ذلك عدم توافُر معاهد أو مدارس في مكة لتهذيبهم وتعليمهم، ولم تكتفِ بذلك، بل استطردَت قائلة: "وسكان مكة من الرجال والنساء في الجملة تافهون"(١١٩).

١١٥- المصدر السابق، ص ١١٥.

١١٦- المصدر السابق، ص ٧٢.

١١٧- المصدر السابق، ص ١١٤.

١١٨- المصدر السابق، ص ١١٤.

١١٩- المصدر السابق، ص ١١٦.

وهكذا، أعيد تشكيل مفهومي "المركز" و"المحيط" ضمن حدود العالَم الإسلاميِّ باعتباره نتيجة لحجها، حيث إنَّ الهند لم تعُد موجودة في دائرة "الإسلام المحيط" المترامي الأطراف والمتنوع الملامح(١٢٠). ويمكن للمرء أنْ يفترض بوجه ملائم أنَّ مكة، والجزيرة العربية كلها لم تعُد مصدر إلهام لسكندر بيگم لممارسة الحياة الدينية على نمط عربيٍّ بحت عند عودتها، مقارنةً بأولئك الحجاج الهنود الذين تحدَّث عنهم المؤرخ مايكل ن. بيرسون في كتابه "**الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية**" على عصر الدولة المغولية، بأن المجتمع المسلم الحق في الهند شأنه شأن غيره في الأقاليم الإسلامية البعيدة، في سعيه إلى الحصول على الرشاد في العقيدة وتقوية الورع وتضامن الجماعة، وعلى المحافظة على روابط منتظمة مع المقدسات العظيمة في العالم الإسلامي خاصة من خلال الحج السنوي إلى مكة(١٢١). على العكس من ذلك، كوَّنَت بيگم صورة لـ"الشرق" بطريقة عكسَت وأسهمَت في الخطاب الاستعماريِّ، ولكن من خلال المنظور الذي أظهر هويتها المركَّبة بصفتها امرأة مسلمة هندية من أصل أفغانيٍّ، حكمَت وكتبَت ضمن قيود نظام "التحالف الفرعي" أو "السيادة المشروطة".

وفي التحليل النهائيِّ، يمكن القول بأنَّ سكندر بيگم لم تتردد في أثناء تصويرها لأحوال الشعوب القاطنين في مكة وجدة، أنْ تنقل مشاهداتها بكلِّ دقة وجرأة، ولم تتردد أيضًا في نقد ما شاع فيهما آنذاك من عاداتٍ سيئة وأخلاق فاسدة، وما سادها من سوء الحكم والإدارة؛ فوجَّهَت سهام نقدها اللاذع إلى الشريف والباشا وغيرهما من الضباط والحكام، بله العامة. غير أنها لم تكتف بالنقد فحسب، بل قدمت حلولًا منطقية. ومع ذلك، لا تخلو انتقاداتها من مبالغة تظهر فيها التعميماتُ المتعددة، كما أنَّ مضامين المذكرة توحي في كثير من الأحيان بأنها تُعبّر عن وجهات نظر التي كانت

120- Dale F. Eickelman, and James Piscatori (eds.), **Muslim Travellers: Pilgrimage, Migration, and the Religious Imagination** (London: Routledge, 1990), p. 12.

١٢١- مايكل ن. بيرسون، **الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية ١٥٠٠-١٨٠٠م**، ترجمة عربية: معراج نواب مرزا وبدر الدين يوسف محمد أحمد، (مكة: مركز تاريخ مكة المكرمة، ٢٠١٣م) ص ١١٦.

قائمة وسائدة عند الغرب حيال الدول العربية والإسلامية وأحوال شعوبها، وكأنها قامت بتدوين مذكراتها بتوثيق وجهاتِ نظرهم واعتقادهم. ولذلك؛ من الصعب أنْ نستخلص من مذكراتها أنَّ كل ما ذكرته بيگم حتمية، غير أنها تعكس الأوضاع الحقيقية لفئة أو فئاتٍ من المجتمع في مكة وجدة وفقًا لما شاهدته خلال وجودها فيها. وقد قفلت بيگم قائلة: "هذه انطباعاتي عنهم بعد إقامتي في بلادهم مدة أربعة أشهر، ولو أقمتُ فيهم سنة لكان من المؤكد أنَّ هناك الكثير والكثير مما سوف أسجله عنهم"[١٢٢].

هذا، ومن خلال تعريف مذكرة بيگم وتحليل مضامينها، نستطيع القول بأنه على الرغم من أنَّ مذكراتِ الرجال فاقت بكثير مذكراتِ النساء في الكم والكيف والمدى الزمنيِّ في القارة الهندية، ثمة مذكرات استثنائية بقلم النسوة الهندياتِ التي تحمل في طياتها وقائع وأحداثًا وأخبارًا مهمة متعلقة بالحرمين الشريفين، بل تفوّقت مذكراتُ بعضهنَّ على مذكراتِ الرجال في الوصف؛ إذ نجد أنهنَّ كتبنَ مذكراتهنَّ بمهارة صاحبت نظرة ولمسة خاصة باهتمامهنَّ بأدقِّ التفاصيل، التي تُقدم صورة حية لأوضاع أهالي الحجاز الدينية والاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم وخصالهم؛ وبذلك أثْرَت المكتبة العربية بما تحويه من نوعية المعلوماتِ والحقائق.

ملاحق

الملحق الأول

صور شخصية لأميرة سكندر بيگم

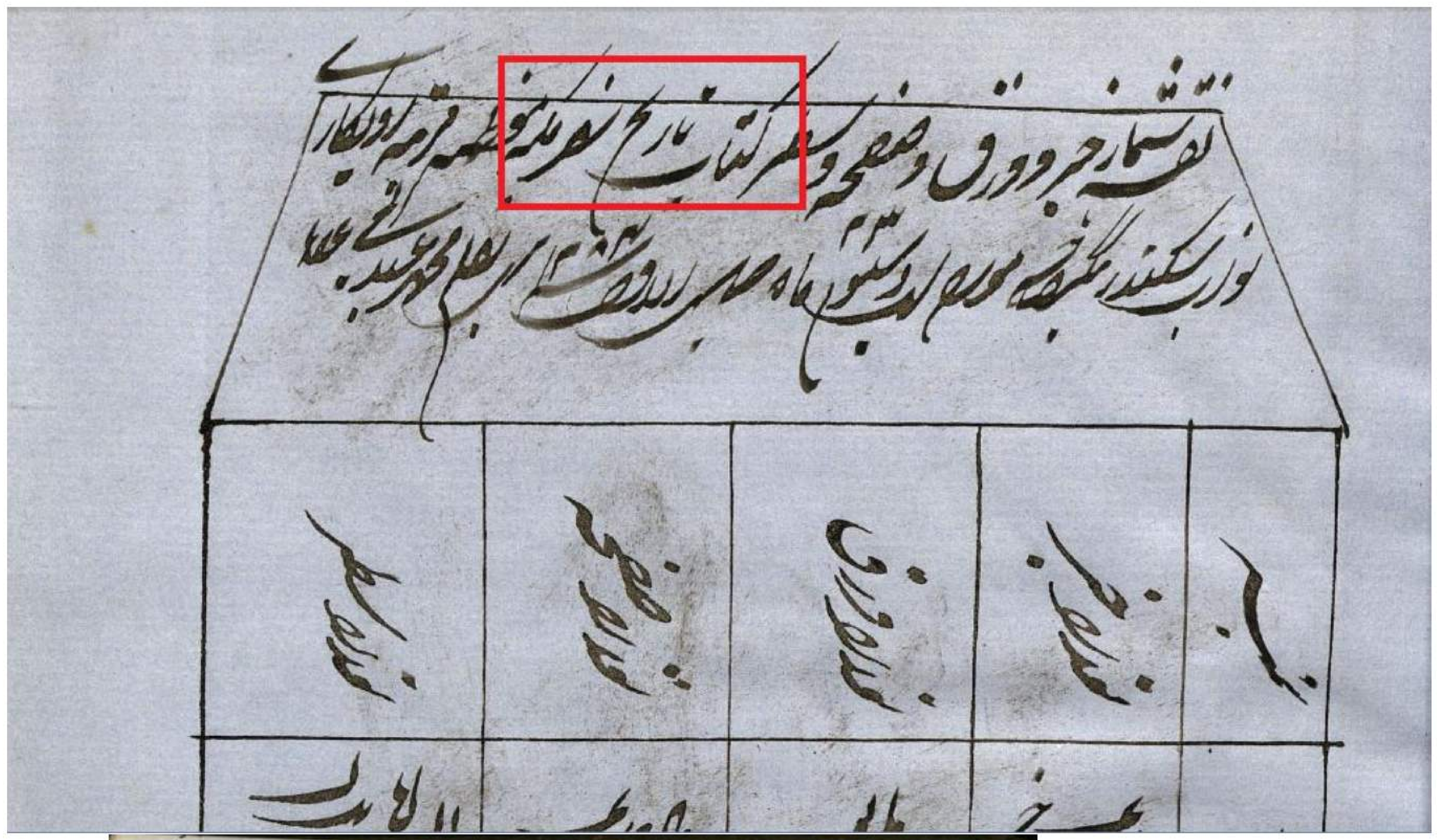
١٢٢- مذكرة سكندر بيگم، ص١٧٠.

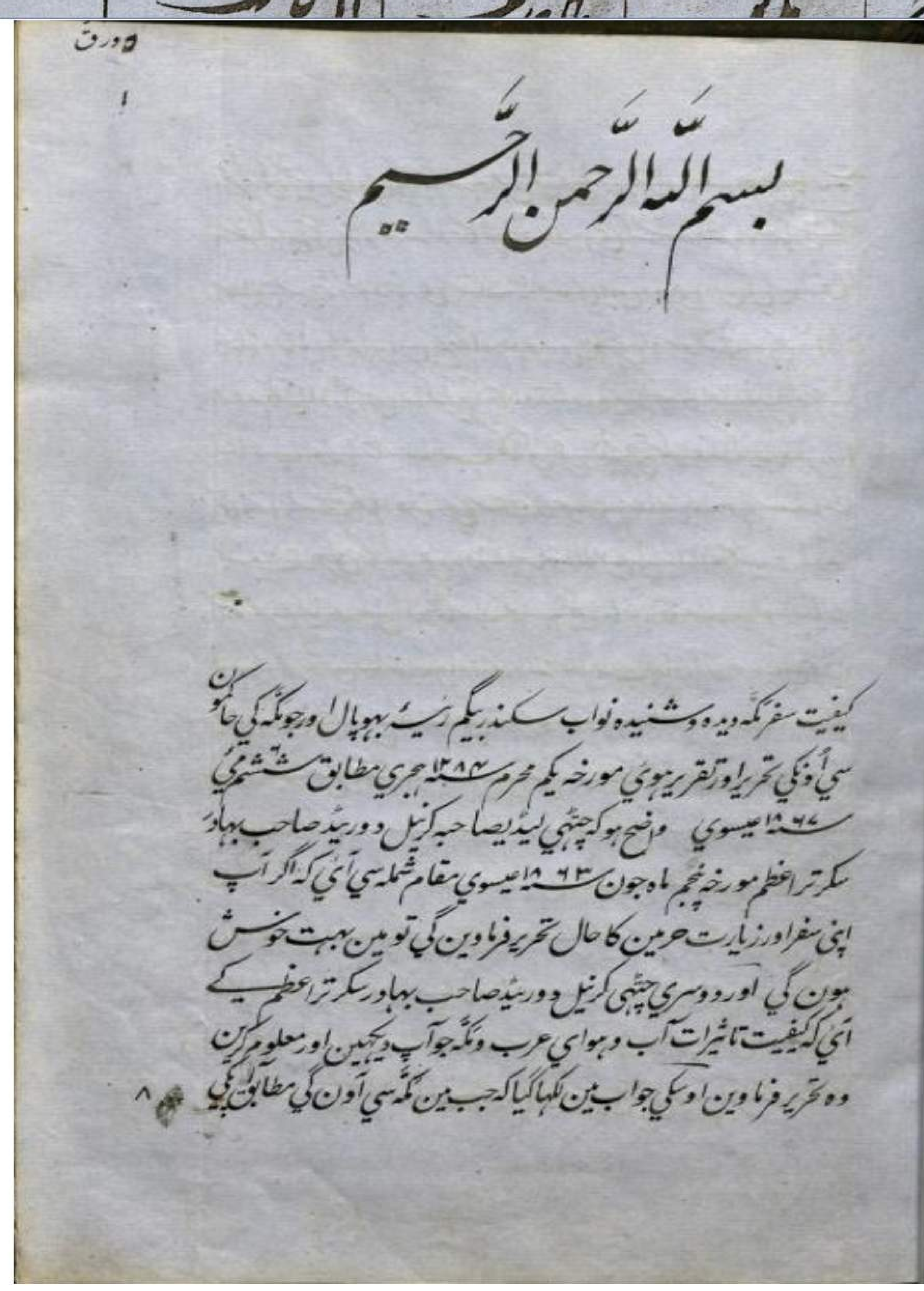




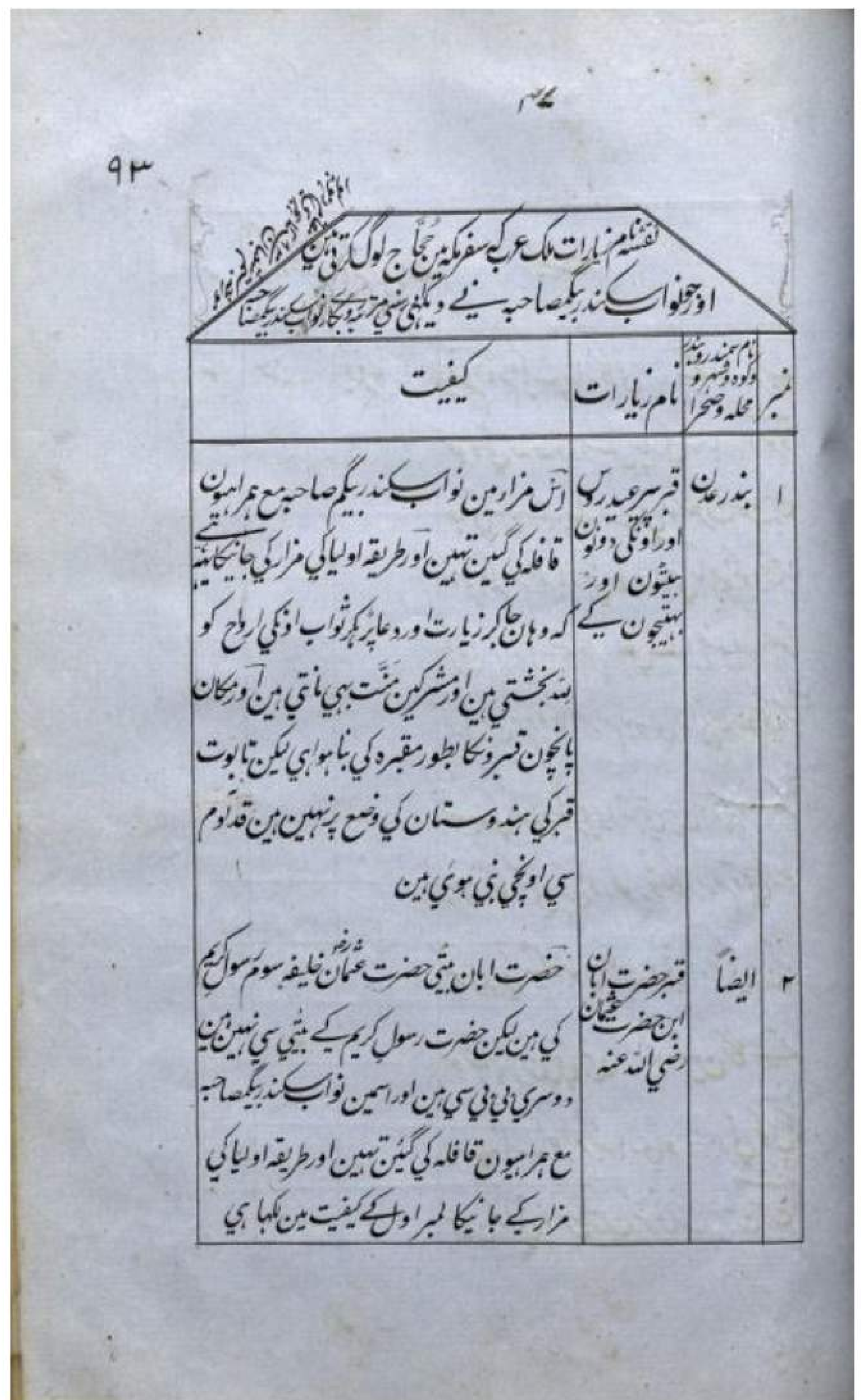
الملحق الثاني

بعض الأوراق من النسخة الخطية لمذكرة سكندر بيگم





بسم الله الرحمن الرحيم

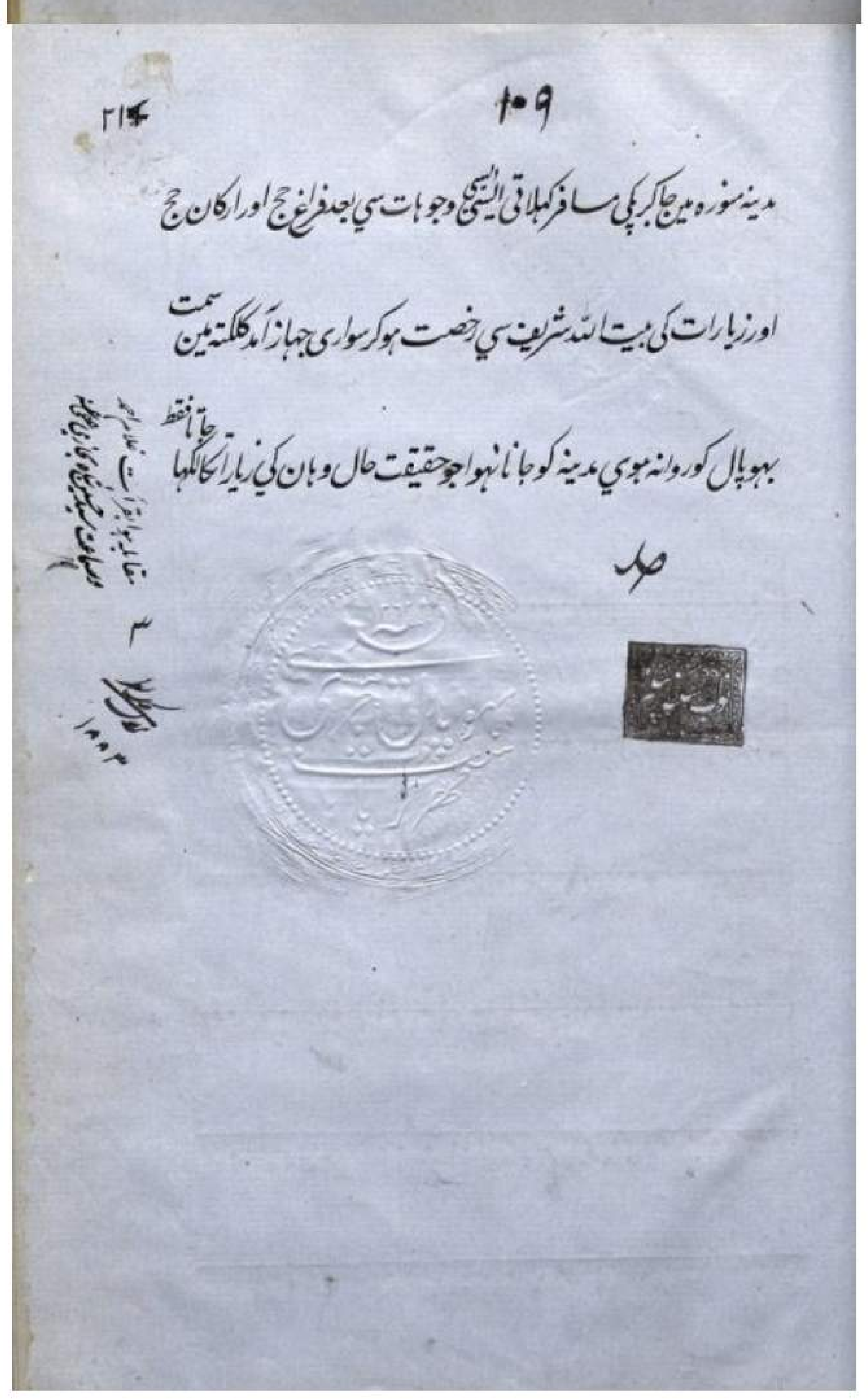


93

نقشہ نام زیارات ملک عرب کہ سفر مکہ مین حجاج لوگ کرتی ہین

اور جو نواب سکندر بیگم صاحبہ نے دیکھی

نمبر	نام شہر و محلہ و صحرا	نام زیارات	کیفیت
١	بندر رابغ	قبر سید ... اور اونکی دونون بیٹیون اور بھتیجون کے	اس مزار مین نواب سکندر بیگم صاحبہ مع ہمراہیون قافلہ کی گئین تہین اور طریقہ اولیا کی مزار کی جانیکا تہے کہ وہان جاکر زیارت ورد عا پڑہکر ثواب اونکی ارواح کو بخشتی ہین اور مشرکین منت بہی مانتی ہین اور مکان پانچون قبرونکا بطور مقبرہ کی بنا ہوا ہی لیکن تابوت قبر کی ہندوستان کی وضع پر نہین ہین قد آدم سی اونچی بنی ہوئی ہین
٢	ایضاً	قبر حضرت ابان ابن حضرت عثمان رضی اللہ عنہ	حضرت ابان بیٹی حضرت عثمانؓ خلیفہ سوم رسول کریم کی ہین لیکن حضرت رسول کریم کے بیٹی سی نہین ہین دوسری بی بی سی ہین اور اسمین نواب سکندر بیگم صاحبہ مع ہمراہیون قافلہ کی گئین تہین اور طریقہ اولیا کی مزار کے جانیکا نمبر اول کے کیفیت مین لکھا ہی



٢١٤ ١٠٩

مدینہ منورہ مین جاکر بھی مسافر کہلاتی الیسی وجوہات سی بعد فراغ حج اور ارکان حج

اور زیارات کی بیت اللہ شریف سی رخصت ہوکر سواری جہاز آمد کلکتہ مین سمت

بھوپال کو روانہ ہوئی مدینہ کو جانا نہوا جو حقیقت حال وہان کی زیارات کا لکھا جاتا فقط

صح

A

PILGRIMAGE TO MECCA,

BY

THE NAWAB SIKANDAR

BEGUM OF BHOPAL, G.C.S.I.,

Translated from the Original Urdú, and edited by

M[RS] WILLOUGHBY-OSBORNE.

FOLLOWED BY A

HISTORICAL SKETCH OF THE REIGNING FAMILY OF BHOPAL,

BY

LIEUT.-COL. WILLOUGHBY-OSBORNE, C.B.,

Political Agent in Bhopál.

And an Appendix

TRANSLATED BY

THE REV. WILLIAM WILKINSON,

Chaplain of Sehore.

LONDON:

W[M]. H. ALLEN & Co., 13, WATERLOO PLACE,

PALL MALL, S.W.

1870.

Letter from H. H. Shah Jehán Begum, present Ruler of Bhopál, to Mrs. Willoughby-Osborne, on hearing of Her Majesty's most gracious acceptance of the Dedication of the following Narrative.

AFTER the usual compliments,—"My dear Friend, I have, indeed, occasion to express my gratitude on learning that Her Gracious Majesty has been pleased to accept the Dedication to herself of the book of travels in Arabia, written by the Nawáb Sikandar Begum, who is now in Paradise. The intelligence has given me, your friend, infinite pleasure, and had the late Nawáb Begum in her lifetime heard the good news, she would assuredly have testified her extreme gratification by declaring that she considered this honour one of the highest she had ever received.

Bibliography

1. Translation of Mrs Willoughby-Osborne, **A pilgrimage to Mecca by the Nawab Sikandar Begum of Bhopal** (London: W.H. Allen & Co., 1870).
2. Translation of Mrs Willoughby-Osborne**, A pilgrimage to Mecca by the Nawab Sikandar Begum of Bhopal** (Calcutta: Thacker, Spink & Co., 1906).
3. Translation of Ibrahim Mohammad Al-Batshan & Sumama Faisal, **A pilgrimage to Mecca by the Nawab Sikandar Begum of Bhopal** (Delhi, 2013).
4. Annette S. Beveridge, **The History of Humāyūn (Humāyūn-nāmā),** (Delhi: Low Price Publications, 1996).
5. C.E. Luard, **Bhopal State Gazetteer** (Calcutta: Superintendent Government Printing India, 1908).
6. Dale F. Eickelman, and James Piscatori (eds.), **Muslim Travellers: Pilgrimage, Migration, and the Religious Imagination** (London: Routledge, 1990).
7. Guy Attewell, '**Authority, Knowledge and Practice in Unani Tibb in India,** c. 1890-1930' (Unpublished PhD Thesis, University of London, 2004).
8. Habib, Irfan, "***Potentialities of Capitalistic Development in the Economy of Mughal India*", Journal of Economic History**, 29 (1), (March 1969).
9. Journal of a trip to Mecca' by Skandar Baigam, Ra'isah' of Bhopal, Bound manuscript in Urdu, Written at the suggestion of Major-

General Sir Henry Marion Durand, 1883 [1284 sh] PP MS 55, Durand, Box 2, File 12.

10. Lambert-Hurley, ed. **'A Princess's Pilgrimage: Nawab Sikandar Begum's A Pilgrimage to Mecca'** (Bloomington: Indiana University Press, 2008); (Markfield, England: Kube Pub., c2007).
11. Leonard, Karen, "***The 'Great Firm' Theory of the Decline of the Mughal Empire*"**, **Comparative Studies in Society and History**, 21 (2), (April 1979).
12. Michael N Pearson, **Pilgrimage to Mecca: The Indian Experience**, 1500-1800, Arabic tr. Mi'rāj Nawwāb Mirzā & Badruddin Yusuf Muhmmad Ahmad, Makkah: The Center of Makkah History, 2013).
13. Muḥammad Amīn Marharwi, **Begmāt-i Bhūpāl : Riyāsat-i Bhūpāl kī das Begmāt kā mufaṣṣal taẕkirah aur unke shāndār kārnāmon̲ aur farmān ravā'ī kī 1100 H. se maujūdah zamānah tak kī musalsal tārīk̲h̲** (Bhūpāl: Maṭba'-i Sulṭānī, 1918).
14. Muḥammad Amīn Zubairi Marharwi, **Hayat-i Sultani** (Agrah: Matba'a Azizi 1939).
15. Muhammad Husain Siddiqi, **Hindustan ki Bis Badi Khawateen,** (Karachi: Zamzama publication house, 2003).
16. Muhammad Mehdi, **Tārīk̲h̲-i Bhopāl,** (Agrah: Matba'a Azizi, no date).
17. Muhammad Shihabuddin, **Urdu me Hajj ke Safar Name,** (Aligarh: Universal Book House, no date).
18. Proceedings of the Indian History Congress, (Delhi: Indian History Congress, 2002).
19. Ramusack, Barbara, **The Indian Princes and their States, The**

New Cambridge History of India, (Cambridge and London: Cambridge University Press, 2004).

20. Razia Hamid, **Nawab Sultan Jahan Begum**, (Bhopal: Babul ilm Publication, 2011).
21. Richards, J.F., "***Mughal State Finance and the Pre-modern World Economy*****", Comparative Studies in Society and History**, 23 (2), (1981).
22. Sahiba, **Tazkirah Begmāt-i Bhūpāl**, (Lahore: Darul Ishaat, 1933).
23. Shaharyar M. Khan, **The Begums of Bhopal: A Dynasty of Women Rulers in Raj India** (London: I.B. Tauris, 2000).
24. Shāhjahān Begam, **Tāj al-Iqbāl: tārīkh Riyāsat-i Bhopāl,** (Kānpur: Maṭba‘ Niẓāmī, 1289 H./1872).
25. Siobhan Lambert Hurley, **Contesting Seclusion: The Political Emergence of Muslim Women in Bhopal**, 1901-1930, PhD Thesis submitted at the School of Oriental and African Studies, University of London, May, 1998.
26. Sir William Muir, **The Life of Mahomet and History of Islam, to the Era of the Hegira**, 2nd ed., abridged (London: Smith, Elder and Co., 1877).
27. Sultan Jahan Begum of Bhopal, **Hayat-i-Qudsi: Life of the Nawab Gauhar Begum alias the Nawab Begum Qudsia of Bhopal**, tr. W.S. Davis (London: Kegan Paul, Trench, Trubner & Co Ltd. 1918).
28. Sultan Jahan Begum, **Tuzke e Sulṭānī**, (Kanpur: Nazami Printing Press, 1328 H.).
29. Tayyba Bi, **Tarikh-i Farman Rawayan Bhopal**, (Bhopal: Bhopal

Printing Press, 1977).

30. The Begum of Bhopal', **The Times** (London), 11 April 1865.

31. Yehya Khalil Arab Al-Ansari, **Gulzar Yemen**, (Karachi, 2001).

ISSN print: 0002-399X, Online ISSN: 2710-5334

Transliteration system followed in this journal

طریقة کتابة الحروف العربیة (والأردیة والفارسیة) بالحروف الإنجلیزیة المتبعة في هذه المجلّة

ا	a	ڈ	ḍ	غ	gh	بھ	b̲h̲
ب	b	ذ	dh	ف	f	پھ	p̲h̲
پ	p	ر	r	ق	q	تھ	t̲h̲
ت	t	ڑ	ṛ	ک	k	ٹھ	ṭ̲h̲
ٹ	ṭ	ز	z	گ	g	جھ	j̲h̲
ث	th	ژ	z̲	ل	l	چھ	c̲h̲
ج	j	س	s	م	m	دھ	d̲h̲
چ	ch	ش	sh	ن	n	ڈھ	ḍ̲h̲
ح	ḥ	ص	ṣ	ں	ṅ	ڑھ	ṛ̲h̲
خ	kh	ط	ṭ	ہ	h	کھ	k̲h̲
د	d	ظ	ẓ	ی	y	گھ	g̲h̲

Long Vowels

ا		ā
آ		ā
ی	ـِـ	ī
و	ـُـ	ū
و	(*Urdu*)	ō
ے	(*Urdu*)	ē

Short Vowels

ـَـ	a
ـِـ	i
ـُـ	u

Diphthongs

و	ـَـ	(*Arabic*)	aw
		(*Persian/Urdu*)	au
		(*Turkish*)	ev
ی	ـَـ	(*Arabic*)	ay
		(*Persian/Urdu*)	ai
		(*Turkish*)	ey

Doubled

وّ	ـُـ	(*Arabic*)	uww
		(*Persian*)	uvv
		(*Urdu*)	uvv
یّ	ـِـ		iyy

ا (ء), when it appears at the middle or end of a word, is transliterated as elevated comma (') followed by the letter representing the vowel it carries. However, when أ appears at the beginning of a word it will be represented only by the letter representing the vowel it carries.

ع is transliterated as elevated inverted comma (').

ض as an Arabic letter is transliterated as (ḍ), and as a Persian/Turkish/Urdu letter as (ż).

و as an Arabic letter is transliterated as (w), and as a Persian/Turkish/Urdu letter is transliterated as (v).

ـة is transliterated as (ah) in pause form and as (at) in construct form.

Article ال is transliterated as (al-) whether followed by a moon or a sun letter, however, in construct form it will be transliterated as ('l).

و as a Persian/Urdu conjunction is transliterated as (–o) whereas as an Arabic conjunction و is transliterated as (wa).

Short vowel (ـِـ) in Persian/Urdu possessive or adjectival form is transliterated as (– i).

AL-DIRĀSĀT AL-ISLĀMIYYAH

QUARTERLY RESEARCH JOURNAL
ISSN print: 0002-399X, ISSN online: 2710-5334
(HEC Recognized)
Listed in Ulrich's International Periodicals Directory under title No. ID: 32489
Volume: 56 July–September 2021 AD/ Dhû 'l-Qa'dah 1442AH– Muḥarram 1443AH Issue: 3

For Enquiries
Tel: +92-51-2254874, 9261761/Ext. 322, 334
E-mail: dirasat@iiu.edu.pk

For Subscription Publication Section
ISLAMIC RESEARCH INSTITUTE
International Islamic University.
Faisal Masjid Campus, P. O. Box: 1035, Islamabad
iri.publications@iiu.edu.pk

Printed at: Islamic Research Institute Press, Islamabad.

INTRODUCTION

Al-Dirāsāt al-Islāmiyyah is a leading Pakistani refereed research journal published by Islamic Research Institute (IRI) since 1965 in Arabic language. It is a quarterly journal dedicated to provide original research articles in Islamic Studies as well as analysis and commentary on issues related to Islam and Muslim *ummah*. This journal brings together many of today's distinguished scholars and thinkers, making their research and commentaries available not only to specialists but to a wider audience of readers in Arabic language.

Al-Dirāsāt al-Islāmiyyah is an interdisciplinary journal of peer-reviewed research and informed opinion on various intellectual and academic issues in areas of Islamic Studies. Its readership includes scholars, practitioners, religious leaders, policy makers, journalists, and general readers. Intellectually rigorous yet accessible and practical, *al-Dirāsāt al-Islāmiyyah* provides an influential outlet for original scholarship in the Islamic studies, social sciences, law, and humanities, as well as a lively forum for commentary on current issues from Islamic perspective. Research articles published in this journal undergo initial editorial scrutiny, double blind peer-review by at least two experts of the field, and further editorial review. Some past issues of this journal have been dedicated exclusively to particular themes.

Indexation of *al-Dirāsāt al-Islāmiyyah*

Al-Dirāsāt al-Islāmiyyah is recognized as one of the leading research journals of Islamic studies and its allied disciplines in the academic world. This research journal has set international academic standards for the last six decades. It was recognized by the Higher Education Commission (HEC) of Pakistan in "X" category, vide Notification No. R&D (RJS)/HEC/816, dated: May 04, 2020, but according to the new policy of HEC the journal is now considered in "Y" Category. Moreover, it is indexed or abstracted by following agencies:

1. The journal is abstracted in *al-Manhal*. Through this database, it is also enlisted in EDS (EBSCO Discovery Services) and SUMMON™ as they are partners of *al-Manhal*.
2. The journal is indexed by Australian Islamic Library.
3. The journal is indexed by Islamic Research Index, Allama Iqbal Open University (AIOU), Islamabad vide letter dated 26.01.2015.
4. Crossref DOI – Prefix is 10.52.241.
5. The journal is enlisted in Ulrich Directory of Periodicals vide ID No. 32489.
6. The abstracting and indexation of *al-Dirāsāt al-Islāmiyyah* in ALTA (American Library of Theology Association) are under process.
7. The *EBSCOhost* is also considering the request of Islamic Research Institute (IRI) for including *al-Dirāsāt al-Islāmiyyah* in its database.
8. The abstracting and indexation of *al-Dirāsāt al-Islāmiyyah* in Scopus and Web. of Science are under process.

GUIDELINES FOR CONTRIBUTORS

The Editorial Board requests the respected contributors to note/observe the following requirements:

1. An abstract written in English, ranging from 150 to 200 words, should be submitted along with the paper.
2. The paper submitted for publication must be original, un-published, and must not be extracted from any published book/dissertation.
3. The paper must fulfill all the well-known standards of original academic research.
4. Citations must be provided in the continuous footnotes on the same page.
5. The paper should be composed in 12/14 point size in Ms Word format. Papers in PDF are not accepted.
6. Citations should be in accordance with *al-Dirāsāt al-Islāmiyyah*'s prescribed format (i.e., author's name, book title, publisher, place and date of publication, vol. no., page no.).

   (for example, S. M. Azizuddin Husain, *Structure of Politics under Aurangzeb 1658-1707*, Kanishka Publishers, New Delhi, 2002, p. 101).
7. A brief CV may be provided if an author submits a paper for the first time.
8. All papers undergo an initial editorial scrutiny. Thereafter, these are sent to two experts in the field for their critical assessment. The Editorial Board, however, takes the final decision to publish a paper or otherwise and is not bound to explain the reasons for its decision.
9. The journal reserves the right to change, modify, or edit the papers before publishing them or request the writers to do so where it deems necessary.
10. The authors are immediately informed about the receipt of their papers by the journal. However, decision to publish/reject the papers is communicated after the due process of evaluation is completed.
11. No paper should exceed fifty pages, nor should be less than twenty pages, each page having around 330 words.
12. Opinions expressed in the papers are the responsibility of the writers alone and do not represent the policy of the journal.

Submission of Manuscripts

Manuscripts are required to be submitted in Ms. Word files through open Journal System (OJS) at the following web link:
http://irigs.iiu.edu.pk:64447/ojs/index.php/aldirasatalislamiyyah/login
It is assumed that the manuscripts submitted to *al-Dirāsāt al-Islāmiyyah* are not under consideration for publication elsewhere.
Contributions and editorial correspondence should be addressed to the Editor, *al-Dirāsāt al-Islāmiyyah*, Islamic Research Institute, P.O Box: 1035, Islamabad, Pakistan or through Email: dirasat@iiu.ediu.pk .
Each contributor is entitled to receive 25 off-prints along with a copy of the journal.

Some Sample Citations

- **Reference from the Qur'ān**
  Name of the *sūrah* and number of the verse.

- **Reference from Classical Ḥadīth Compilations**
  Muḥammad b. Ismā'īl al-Bukhārī, ***al-Jāmi' al-Saḥīḥ***, Kitāb al-Dhabā'iḥ wa 'l-Ṣayd, Bāb Akl Kull Dhī Nāb min al-Sibā', Ḥadith:5530, Riyadh: Dār al-Salām, 1417 AH, vol. 2 p. 234.

- **Books –** Include title, subtitle, series title, editor/translator (if any). If there are multiple authors listed on the title page, include up to three names in full; for more than three, include the first followed by et al. If there are more than three editors, include only the first and et al.

  Example:
  Abū 'l-Sa'ūd Muḥammad b. Muḥammad al-'Amādī, *Irshād al-'Aql al-Salīm ilā Mazāyā 'l-Qur'ān al-Karīm* (Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, 1440 AH), vol. 4, p. 160.

- **Articles –** Use author and article title as they appear on the first page of the article (if not given in full there, then use table of contents' version). If the month is given on the journal, include it in this form: author, "title," *journal*, vol. 22, no. 3 (March, 2002): 74-76; if only the year is given, include the journal's volume and number in this form: author, "title," *journal*, vol. 22, no. 3 (2002): 74-76.

- **Online Journals**
  Gueorgi Kossinets and Duncan J. Watts, "Origins of Homophily in an Evolving Social Network," *American Journal of Sociology* 115 (2009): 411, accessed February 28, 2010, doi:10.1086/599247.

- **Websites**
  "McDonald's Happy Meal Toy Safety Facts," McDonald's Corporation, accessed July 19, 2008,
  http://www.mcdonalds.com/corp/about/factsheets.html.

- **Encyclopedia**
  Ch. Pellat, "Ḥayawān," in *The Encyclopaedia of Islam*, ed. B. Lewis et al., Leiden: E. J. Brill, 1986, vol. 3, p. 307.

COPYRIGHT/LICENSE REQUIREMENTS

To view the previous issues of *al-Dirāsāt al-Islāmiyyah*, follow the given link please: http://irigs.iiu.edu.pk:64447/ojs/index.php/aldirasatalislamiyyah

Subscription Rates

	(For Institutions)		(For Individuals)	
	Annual	Single	Annual	Single
In Pakistan	Rs. 450	Rs. 150	Rs. 400	Rs. 125
Outside Pakistan	US$. 170	US$. 60	US$. 120	US$. 40

Contact Information

All correspondence should be directed to:

The Editor
Al-Dirāsāt al-Islāmiyyah
Islamic Research Institute, Faisal Mosque Campus
International Islamic University, Islamabad
(051-2254874, 9261761/Ext: 322,334
dirasat@iiu.edu.pk

CONTENTS

CONTRIBUTORS

Faisal Ahmad Naji Mohsin Al-ataei

Head department of Hadith Sciences,

Islamic University of Minnesota, Main Campus, U.S.A

****

Abdul Malik Rasoolpuri

Assistant Professor, Department of Arabic Language,

Zakir Hussain Delhi College, India.

****

Muhammad Nawaz

Assistant Professor, Faculty of Arabic,

International Islamic University, Islamabad, Pakistan.

****

Sahib Alam Al-Azami Al-Nadwi

Research Scholar, Markaz Hassan,

University of Qatar, Qatar.

****